(سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر 7)

كتاب

بهجة المجالِس لابن عبد البر

(٣٦٨ – ٤٦٣ هـ)

تنسيق وتدقيق وتعليق

محمد علي أبو زهرة

(الجزء الأول)

من أكبر الموسوعات الأدبية

كتاب بهجة المجالِس

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن عبد البر علم موسوعي من أعلام الإسلام، في الحديث والفقه، ولم تقتصر موسوعيته على علم الحديث وفنونه كما هو مشتهر عند المختصين، بل شملت القرآن وعلومه، والفقه وأصوله، والتاريخ وعلومه، واللغة وبلاغتها، والأدب والشعر وأقوال الحكماء، وغير ذلك. وقد نهل من معينه من جاء بعده، واستفاد منه نظراؤه ومشايخه، وشهد له أئمة المسلمين من المذاهب المختلفة بالرسوخ في العلم والتقوى في الدين.

التعريف بابن عبد البر:

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر (٣٦٨ هـ – ٤٦٣ هـ) إمام وفقيه مالكي ومحدِّث ومؤرِّخ أندلسي، له العديد من التصانيف والكتب. ولد في قرطبة، لأسرة من بني النمر بن قاسط في ٢٥ ربيع الآخر ٣٦٨ هـ. كان أبوه عبد الله فقيهًا، ومن أهل العلم في قرطبة. نشأ ابن عبد البر بقرطبة، وتعلّم الفقه والحديث واللغة والتاريخ من شيوخها. قال فيه الذهبي في سير أعلام النبلاء: الإمام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة.

ومن أشهر كتب ابن عبد البر:

الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار – الاستيعاب في معرفة الأصحاب – الإنباه على قبائل الرواة – الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد – الكافي في فقه أهل المدينة – تجريد التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد – جامع بيان العلم وفضله. وغيرها من تصانيف جليلة.

كتاب بهجة المجالس

أما كتاب بهجة المجالِس وأنس الْمُجالِس فهو مجموعة من النوادر والموسوعات الأدبية الإخبارية. ضم بين دفتيه خلاصة ما قرأه ودونه ابن عبد البر في ميدان الأدب كما قال: (وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي) فحفظ بين جنباته كنوزاً قيمة من التراث كادت تندثر لولا أن ابن عبد البر ضم شملها وجمع شتاتها.

وقد قسم ابن عبد البر كتابه أبواباً، يفتتح الباب منها بما تيسر من الآيات والأحاديث، ثم يورد أشعار العرب وحِكَمها، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم، من كل ما قيل في معنى الباب، أو ضده، ليكون أبلغ وأشفى وأمتع.

الأشعار في بهجة المجالس:

يحوي الكتاب جملة وافرة من شعر عدد من الشعراء المشارقة يكفي لإخراج

ديوان لكل منهم، وبالفعل قام عدد من الباحثين والمهتمين باستخراج دواوين لبعض الشعراء، مثل: ديوان محمود الوراق، وديوان منصور الفقيه، وروجع عليه ديوان أبي العتاهية.

كما احتفظ بشعر عدد من الشعراء المقلين في الجاهلية وفي الإسلام، وفي المشرق وفي المغرب. وقد أورد قدراً كبيراً من الشعراء الأندلسيين قد لا نجدهم في كتاب آخر، كيحيى بن حكم الغزال، ويوسف بن هارون الكندي، وابن عبد ربه، وغيرهم.

هذا وإن حسنات هذا الكتاب كثيرة لا تحصى، ولا يقلل منها بعض الهنات والملحوظات التي وجدتها عند المؤلف رحمه الله، مثل رواية الأحاديث الضعيفة[1].

لماذا هذا العمل؟

ولأهمية الكتاب، ولكونه موسوعة حديثية أدبية معرفية، ولكون

---

[1] لاحظت أن ابن عبد البر رحمه الله على جلالة قدره في علم الحديث تساهل في رواية بعض الأحاديث الضعيفة وأحياناً الموضوعة. كما أنه كان أحياناً يدخل بعض الأحاديث في بعض فيروي حديثاً طويلاً وهو في الأصل حديثان أو ثلاثة، وهو ما سيجده القارئ في موضعه من هذا الكتاب. كما كان يروي أحاديث لا أصل لها في كتب الحديث. ولأهمية أحاديث كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس، اختار الباحث حمزة بن محمد بن علي الغيلي أن يكون موضوع أطروحته لإكمال مرحلة الماجستير هو: "الأحاديث المرفوعة في كتاب: بهجة المجالس وأنس المجالس للإمام ابن عبد البر من أول الكتاب إلى حديث: "احذروا جدال كل مفتون؛ فإنه يلقن حجته إلى انقطاع مدته" تخريجاً ودراسة. من جامعة الإمام.

أحاديث كتاب بهجة المجالس وأنس المجالِس التي تزيد على خمسمائة وخمسين حديثاً لم تُخدم خدمة علمية حديثية، ولكون هذا الكتاب مرجعاً من المراجع التي يرجع إليها كثير من الناس على اختلاف تخصصاتهم العلمية، ولكونه من نوادر الموسوعات الأدبية الإخبارية، أفرغ فيه الإمام ابن عبد البر خلاصة قراءاته وملاحظاته في ميدان الأدب، فحفظ لنا بين دفتيه تراثاً قيِّماً ضاعت معظم مصادره الأصلية، ولأنه يخدم فئة غير قليلة في المجتمع منهم الخطباء والدعاة والأدباء، من أجل ذلك كله رأيت إعادة نشره وتحقيقه ليكون قريباً من أيدي الشبان والقرَّاء المعاصرين، والمهتمين بدراسة الأدب.

وكان عملي في هذا التحقيق الآتي:

- تخريج جميع الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في البهجة من كتب الحديث المعروفة.
- ترجمة للأعلام الواردة في الكتاب من شعراء وغيرهم.
- ضبط الأبيات الشعرية رواية وألفاظاً، مع شرح مفرداتٍ وأحياناً شرحِ أبياتٍ.
- عزو الأشعار التي لم يعزها ابن عبد البر إلى أصحابها. وقد توصلت إلى عزو كثير منهم. كما توصلت إلى كثير من المواطن والكتب التي ذكرت هذه الأشعار.

- تصويب أخطاء الطبعات السابقة وما أكثرها[1].
- التعليق على المواضع التي تحتاج إلى مزيد شرح وتوضيح.

وهذا المنهج التزمته وأخذت به نفسي فيما وفقني الله في إخراجه من كتب التراث، وسميته (سلسلة تقريب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر) وهذا هو الكتاب السابع بفضل الله في هذه السلسلة[2].

رحم الله ابن عبد البر وجزاه عنا خيراً والحمد لله رب العالمين.

أبو زهرة

نبروه – ٢٠٢١م

---

[1] وهذه التصويبات سيجدها القارئ منثورة في مواضعها من الهوامش.

[2] هو الجزء الأول من هذا الكتاب، ويبدأ من باب: أدب المجالسة وحق الجليس الصالح حتى باب: انظار الفرج.

وقد سبقه لي ستة كتب هي: (تهذيب تاريخ ابن خياط – مختصر زاد المعاد – قصة الإيمان – تحقيق العواصم من القواصم – حقوق آل البيت في مفهوم ابن تيمية – الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة هما: علماء معاصرون نصروا الإسلام، وغرباء. وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور، وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).

مقدمة المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصَلَّى اللَهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وسَلَّم.

أَما بَعدُ: فإنَّ أولى ما ابتُدئ به كتابٌ، وافتتُح به خِطابٌ، حمدُ الله على جزيل آلائه، وشكرُه لجميل بلائه، ثم الصلاةُ على خاتم أنبيائه وعاقبِ رسلِه، صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين، وسلامٌ عليهم في العالمين وبركاتُه. والحمدُ لله الذي هدانا للإسلام، وفضَّلنا على جميع الأنام، وجعلنا من أمة محمدٍ نبيِّه عليه الصلاة والسلام.

وبعد: فإنَّ أولى ما عُني به الطالب، ورَغِبَ فيه الراغب، وصَرَفَ إليه العاقلُ همَّه، وأكَّدَ فيه عزمَه، بعدَ الوقوفِ على معاني السُّننِ والكتاب، مطالعةُ فنونِ الآداب، وما اشتملتْ عليه وجوهُ الصواب، من أنواع الحِكَم التي تحيي النفسَ والقلب، وتشحذ الذهنَ واللُّب، وتبعث على المكارم، وتنهى عن الدنايا والمحارم، ولا شيء أنظمُ لشملِ ذلك كلِّه، وأجمعُ لفنونِه، وأهدى إلى عيونِه، وأعقلُ لشاردِه، وأثقفُ لنادِرِه؛ من تقييد الأمثالِ السائرة، والأبياتِ النادرة، والفصولِ الشريفة، والأخبارِ الظريفة، من حِكَمِ الحكماء، وكلامِ البلغاء العقلاء، من أئمةِ السَّلَف، وصالحي الخَلَف، الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم، آدابَ التنزيل، ومعانيَ سُننِ الرسول، ونوادرَ العرب وأمثالَها، وأجوبتَها ومقاطعَها، ومباديَها وفصولَها، وما حَوَوْه من حِكَمِ العَجَم، وسائر

الأمم، ففي تقييد أخبارِهم، وحفظِ مذاهبِهم، ما يبعثُ على امتثالِ طُرُقِهم واحتذائها، واتباعِ آثارِهم واقتفائها.

وقد جمعتُ في كتابي هذا من الأمثالِ السائرة، والأبياتِ النادرة، والحِكَمِ البالِغة، والحكاياتِ الممتِعَة، في فنونٍ كثيرة، وأنواعٍ جَمَّة، من معاني الدِّين والدنيا، ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي، ليكونَ لمن حفظَه ووعاه، وأتقنَه وأحصاه زَيْناً في مَجالسِه، وأُنْساً لِمُجالِسِه، وشحذاً لذهنِه وهاجسِه، فلا يمرُّ به معنى في الأغلب مما يذاكر به، إلا أورد فيه بيتاً نادراً، أو مثلاً سائراً، أو حكايةً مستطرفة، أو حكمةً مستحسنة، يَحْسُنُ موقع ذلك في الأسماع، ويخفّ على النفسِ والطباع، ويكون لقارئه أنساً في الخلاء، كما هو زَيْنٌ له في الملاء، وصاحباً في الاغتراب، كما هو حَلْيٌ بين الأصحاب.

وجمعتُ في الباب به منه المعنى وضدَّه لمن أراد متابعةَ جليسِه فيما يورده في مجلسه، ولمن أراد معارضته بضده في ذلك المعنى بعينه، ليكون أبلغ وأشفى وأمتع.

وقد قرَّبته، وبوَّبته ليسهل حفظُه، وتقرُب مطالعتُه، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره، وتيمناً بآثاره.

وإلى الله أبتهلُ في حسن العونِ والتأييد لما يحب والتسديد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أهدى المرءُ المسلمُ لأخيه هديةً أفضلَ من كلمةِ حِكْمة، يزيده الله بها هدىً، ويصرفه بها عن ردىً".[1]

ويروى عن عيسى الخياط[2]، عن الشعبي[3]، قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره، ما رأيت أن سَفَرَه قد ضاع.

قال محمد بن سلَّام الجُمَحي[4]،

---

[1] رواه السيوطي في الجامع الصغير، وهو حديث ضعيف. ضعفه الذهبي والعجلوني والمناوي والألباني.

[2] عِيسَى بن أبي عِيسَى الْخياط من أهل الْكُوفَة أَخُو مُوسَى بن أبي عِيسَى وَاسم أبي عِيسَى ميسرَة أَصله من الْكُوفَة انْتقل إِلَى الْبَصْرَة. يروي عَن الشّعبِيّ وَنَافِع. روى عَنهُ وَكِيع والكوفيون وَهُوَ الَّذِي يُقَال لَهُ الْخياط والحناط لِأَنَّهُ كَانَ خياطاً فِي أول أمره ثمَّ ترك الْخياطَة وَصَارَ حناطاً وَكَانَ سيئ الْفَهم وَالْحِفْظ كثير الْوَهم فَاحش الْخَطَأ اسْتحق التّرْك لكثرته. مَاتَ سنة إِحْدَى وَخمسين وَمِائَة.

[3] الشَّعْبِيُّ: عَامِرُ بنُ شَرَاحِيْلَ بن عَبْدِ بنِ ذِي كِبَارٍ (وَذُوْ كِبَارٍ: قَيْلٌ مِنْ أَقْيَالِ اليَمَنِ)، الإِمَامُ، عَلاَّمَةُ العَصْرِ (٢١ - ١٠٠ هـ) تابعي وفقيه ومحدِّث من السلف، ولد في خلافة عمر بن الخطاب. قال الذهبي : كان إمامًا حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا. وقال ابن سيرين: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذ كثير.

[4] محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي أبو عبد الله البصري مولى قدامة بن مطعون، صنف كتاب طبقات فحول الشعراء، وكان من أهل الفضل والأدب.

عن ابن جعدبة[1]، قال: ما أبرم عمر بن الخطاب أمراً قط إلا تمثل فيه ببيت شعر.

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[2] رضي الله تعالى عنه: كفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل.

وقال أبو الزناد[3]: ما رأيتُ أحداً أروى للشعر من عروة بن الزبير[4] فقيل له: ما أرواك للشعر! قال: وما روايتي من رواية عائشة له! ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدتْ فيه شعراً.

---

[1] يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة الليثي يكني أبا الحكم مدني سكن البصرة ومات بها. قال أحمد بن علي بن المثنى: سَألتُ يَحْيى بن مَعِين عن يزيد بن عياض فقال ليس بشَيْءٍ (يعني ليس ثقة في رواية الحديث).

[2] أبو عبد الله محمد بن علي العبّاسي الهاشمي القرشي (٥١ هـ – ١٢٥ هـ)، صاحب الدعوة العبّاسية وأول من دعا أن يكون الملك في بني العباس، في عهده انتشرت الدعوة لتبلغ العراق وخراسان واتخذ من الحميمة مركزًا له ومقامًا لعيشه حيث قطنها هو وأبناؤه إبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور.

[3] عبد الله بن ذكوان أبو عبد الرحمن المدني، المعروف بـ أبي الزناد، (٦٥ – ١٣٠ هـ) تابعي وفقيه المدينة، وأحد رواة الحديث النبوي الثقات، روى له الجماعة.

[4] عُروة بن الزُبير بن العوام الأسدي (٢٣ هـ/٦٤٤ م – ٩٤ هـ/٧١٣ م) تابعي ومحدث ومؤرخ مسلم، وأحد فقهاء المدينة السبعة، وأحد المكثرين في الرواية عن خالته عائشة بنت أبي بكر زوجة النبي محمد، ومن الأوائل الذين سعوا إلى تدوين الحديث، كما كان له مساهمات رائدة في تدوين مقتطفات من بدايات التاريخ الإسلامي، اعتمد عليها من جاء بعده من المؤرخين المسلمين. كما عُرف عنه أنه من أروى الناس للشعر.

وروي عن ابن عباس[1] رضي الله تعالى عنهما أنه قال: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا أرواحَه، ودَعُوا ظروفَه[2].

ولقد أحسن القائل، وقيل إنه منصور الفقيه[3]:

قالوا خُذِ العينَ من كُلٍّ فقلتُ لهمْ في العينِ فضلٌ ولكنْ ناظِرُ العينِ

حرفانِ في أَلفِ طومارٍ[4] مسوَّدةٍ وربَّما لم تجدْ في الأَلفِ حرفينِ

وروي عن مخلد بن يزيد[5]، عن جابر بن معدان[6] قال: كل حكمة لم ينزل فيها كتاب، ولم يُبعث بها نبي، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسن الشعراء.

---

[1] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، (٣ ق هـ – ٦٨ هـ) صحابي محدِّث وفقيه وحافظ ومُفسِّر، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد المكثرين لرواية الحديث، حيث روى ١٦٦٠ حديثًا نبوياً.

[2] يعني أن للعلم أرواحاً وأجساداً فخذوا أرواحه واتركوا أجساده.

[3] منصور بن إسماعيل الفقيه: شاعر وفقيه شافعي، ضرير، أصله من رأس العين (بالجزيرة) سافر إلى بغداد في شبابه، ومدح بها الخليفة المعتز ثم سكن مصر وتوفي بها. له كتب منها: (الواجب)، (المستعمل)، (والهداية) في الفقه، (وزاد المسافر). وقد أكثر ابن عبد البر في النقل من أشعاره حتى إنه حفظها له من الضياع، بل قيل إن ديوان الفقيه جمعوه من مؤلفات ابن عبد البر.

[4] طومار: صحيفة.

[5] مخلد بن يزيد الحراني ، أحد الأئمة الثقات. قال أبو حاتم: صدوق. محتج به في الصحاح، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة.

[6] لعله خالد بن معدان: تابعي وأحد رواة الحديث النبوي، اسمه أبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، الحمصي الإمام شيخ أهل الشام، يعد من أئمة الفقه، أدرك سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ١٠٣ هـ.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الشِّعر حِكْمة"[١].

وعن ابن عباس، قال: خذ الحِكْمة ممن سمعتَها، فإن الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم، كما أن الرَّمْيَة قد تجيء من غير رامٍ.

باب أدب المجالسة وحق الجليس الصالح

عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "من قام من مجلسه ثم رجع فهو أحقّ به"[٢]

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أتى أحدكم المجلس فليسلّم، وإذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحقّ من الأخرى"[٣].

وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "لا يُقيمن أحدُكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه"[٤]. قال: وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ من مجلسه، من غير أن يقيمه لم يجلس فيه.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "المجالس بالأمانة، وإنما يتجالس الرّجلان بأمانة الله عزّ وجلّ، فإذا تفرّقا فليستر كلٌّ منهما حديث صاحبه"[٥].

---

[١] رواه البخاري وأحمد وأبو داود.

[٢] رواه مسلم.

[٣] رواه البخاري في الأدب المفرد. وصححه الألباني.

[٤] رواه البخاري ومسلم.

[٥] أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطحاوي في مشكل الآثار. وهو صحيح لغيره.

وقال أبو البختري[1]: كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرّجل من مجلسه، ولكن ليوسع له.

ومن حديث سعيد المقبري[2]، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: "لا يوسَّعْ في المجالس إلاّ لثلاثة: لذي علم لعلمه، ولذي سن لسنّه، أو لذي سلطان لسلطانه"[3].

ومن حديث جابر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "المجالس بالأمانة إلا ثلاثة: مجلسٌ سُفك فيه دمٌ حرامٌ، ومجلسٌ استُحِلّ فيه فرجٌ حرام، ومجلسٌ استُحِلّ فيه مالٌ حرام بغير حقه"[4].

---

[1] أبو البَخْتَرِى: عبد اللَّه بن محمد بن شاكر العنبرى، بغدادى صدوق كتب عنه الناس في وقته.

[2] سعيد المقبري الإمام المحدث الثقة أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان الليثي مولاهم المدني المقبري كان يسكن بمقبرة البقيع. حدث عن أبيه وعن عائشة وأبي هريرة وسعد بن أبي وقاص وأم سلمة وابن عمر وأبي شريح الخزاعي وأبي سعيد الخدري وعدة وكان من أوعية الحديث. ووثقوه.

[3] رواه الخرائطي بإسناد فيه جهالة. والحديث ضعيف متناً، مع أنه صحيح السند؛ وذلك لمخالفته لنص قطعي، وهو قوله جلّ وعزّ: (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ).

[4] خرَّجه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وقال: ضعيف.

وعن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "لكل شيءٍ شرفٌ، وإنّ شرف المجالس ما استُقبل فيه القبلة"[١].

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "إذا جلس إليك رجلٌ فلا تقومنّ حتى تستأذنه"[٢].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "إذا قام الرّجل من مجلسه فهو أحقُّ به حتّى ينصرف إليه، ما لم يودِّع جلساءه بالسَّلام"[٣].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "لا يفرِّق واحدٌ منكم بين اثنينِ متجالسينِ إلاَّ بإذنهما، ولكن تفسَّحوا وأوسِعوا"[٤].

وقال أنس بن مالكٍ: ما أخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم ركبتيه ولا قدميه بين يدي جليسٍ له قطُّ، ولا تناول أحدٌ يدَه فتركها حتّى يكون هو الّذي يَدَعَها[٥].

---

[١] ضعفه ابن الصلاح والنووي والزيلعي، والذهبي، والهيثمي، وابن حجر والسخاوي، والسيوطي، والمناوي، والعجلوني، والألباني. ومنهم من حكم بأنه موضوع لأن فيه ابن رشدين كذاب وابن هشام متروك.

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والحديث حسن لغيره.

[٣] لا أصل له في كتب الحديث. والمحفوظ بلفظ: "من قام من مجلسه، ثم رجع فهو أحقّ به"، وقد سبق تخريجه في الحديث رقم ٣ وهو في صحيح مسلم.

[٤] أخرجه البخاري ومسلم.

[٥] أخرجه الترمذي والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو وأبو داوود. والحديث ضعيف، لضعف زيد التغلبي.

وقال ابن شهاب[1]: كان رجل يجالس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يزال يتناول عن وجهِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم الشيء، وكأنّ ذلكَ آذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إذا نزع أحدُكم عن أخيه شيئاً فلْيُرِهِ إياّه"[2].

وحدَّث الحسن البصري[3]: أنّ رجلاً تناول عن رأس عمر بن الخطّاب شيئاً فتركه مرتين، ثم تناول الثالثة، فأخذ عمرُ بيده، فقال: أرني ما أخذتَ؟ وإذا هو لم يأخذ شيئاً! فقال: انظروا إلى هذا، قد صنع هذا ثلاثَ مراتٍ يُريني أنّه يأخذُ من رأسي شيئاً ولا يأخذُه، فإذا أخذ أحدُكم من رأسِ أخيه شيئاً فليرِهِ إيّاه.

---

[1] ابن شهاب الزهري القرشي أبو بكر المدني (٥٠ – ١٢٣ هـ) سكن الشام. ولد في آخر خلافة معاوية، في السنة التي ماتت فيها عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة، أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات ومجموع أحاديث الزهري كلها ٢٢٠٠ حديث.

[2] أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة. ومعناه إذا أماط الأذى عن لحية أخيه أو عن رأسه فليره إياه.

[3] الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠ هـ) إمام وقاضي ومحدّث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم.

قال الحسن[1]: نهاهم أمير المؤمنين عن الملَق[2].

وقال الحسن: لو أنّ إنساناً أخذ من رأسي شيئاً، قلت: صرف الله عنك السُّوء.

وكان محّمد بن سيرين[3] إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسه شيئاً، قال: لا عدمت نافعاً.

وروي عن عمر بن الخطّاب أنه قال: إذا أخذ أحدٌ عنك شيئاً، فقل: أخذتَ بيدك خيراً.

وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنه قال: لأبي أيّوبٍ الأنصاريّ – وقد نزع عنه أذىً –: "نزع الله عنك ما تكره يا أبا أيّوب"[4].

---

[1] الحسن بن يسار البصري (٢١ – ١١٠ هـ) إمام وقاضٍ ومحدِّث من علماء التابعين البارزين في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة لائم.

[2] يعني التذلّل، والتضرّع فوق ما ينبغي، والمداهنة.

[3] محمد بن سيرين البصري: التابعي الكبير والإمام القدير في التفسير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع وبر الوالدين، توفي في ٩ شوال ١١٠ هـ بعد الحسن البصري بمائة يوم، وكان عمره ٧٨ عاماً.

[4] ونص الرواية: كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يطوفُ بينَ الصَّفا والمروةِ فسقَطت على لحيتِهِ ريشةٌ فابتدَرَ إليهِ أبو أيُّوبَ فأخذَها فقالَ لهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نزَعَ اللَّهُ عنكَ ما تكرَهُ. والحديث ضعيف، وفيه علتان: ضعف نائل. قال الهيثمي:حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي أيوب.

وقال عمر بن الخطّاب: فحسب المرء من العِيِّ أن يؤذيَ جليسَه بما لا يعنيه وأن يَجِدَ على النّاس فيما تأتيه[1]، وأن يَظْهَرَ له من النّاسِ ما يخفى عليه من نفسِه.

وعن عمر رضي الله عنه قال: إن مما يصفّي وداد أخيك، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيتَه، وأن تدعوَه بأحبِّ الأسماء إليه، وأن توسِّع له في المجلس.

قال أبو أيّوب الأنصاريّ[2]: من أراد أن يكثر علمه، فليجالس غيرَ عشيرته.

روى سفيان بن عيينة[3]، عن مالك بن معن[4]، قال: قال عيسى صلى الله عليه وسلّم: جالِسوا من تذكركم بالله رؤيتُه، ويزيد في علمكم منطقُه، ويرغّبكم في الآخرة عملُه.

---

[1] يعني يكره منهم ما يفعله هو.

[2] أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري (المتوفي سنة ٥٢ هـ) صحابي من الأنصار شهد بيعة العقبة والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي خصَّه النبي محمد بالنزول في بيته عندما قدم إلى يثرب مهاجراً، وأقام عنده حتى بنى حجره ومسجده وانتقل إليها. توفي أبو أيوب الأنصاري مريضًا، وهو في جيش يزيد بن معاوية المتوجه إلى القسطنطينية وقبره هناك.

[3] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع. وقد ولد في الكوفة سنة ١٠٧ هـ وتوفي ١٩٨ هـ. أجمع الناس على صحة حديثه وروايته. طلب العلم وهو غلام وروى الحديث عن الكبار ومنهم: الزهري وأبي اسحق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النجود المقري والأعمش وعبد الملك بن عمير وغيرهم.

[4] الصواب: مالك بن مغول، وهو مالك بن مغول بن عاصم الحارثي الصهيبي البجلي من قبيلة بجيلة، تابعي، وراوي حديث نبوي من الثقات، من أهل الكوفة. قال أحمد بن حنبل: «ثقة،

قال المدائني[1]: أوصى يحيى بن خالد[2] ابنه، فقال: يا بنيّ إذا حدّثك جليسُك حديثاً، فأقبلْ عليه وأصغِ إليه، ولا تقل قد سمعتُه وإن كنتَ أحفظَ له، وكأنك لم تسمعه إلاّ منه، فإنّ ذلك يُكسِبُك المحبة والميل إليك.

وعن عبد الملك بن عمير[3]، قال: قال سعيد بن العاص[4]: لجليسي عليَّ ثلاثُ خصال: إذا دنا رحّبتُ به، وإذا جلس وسّعتُ له، وإذا حدَّث أقبلتُ عليه.

ثبت في الحديث»، وقال يحيى بن معين وأبو حاتم الرازي والنسائي: «ثقة»، وقال العجلي: «رجل صالح مبرز في الفضل»، وقال الذهبي: «كان من سادة العلماء»، وقال الطبراني: «من خيار المسلمين»، روى له الجماعة أصحاب الكتب الستة.

[1] أبو الحسن المدائني (١٣٥ – ٢٢٥ هـ): علي بْن مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن أَبِي سيف. أصله من البصرة، سكن المدائن فنسب إليها، وقد ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ، وعاش نحو تسعين عاماً، ومات سنة ٢٢٥هـ.كان أحد المتكلمين، تتلمذ لمعمر بن الأشعث في علم الكلام، ولكنه اشتهر بالأدب والتاريخ.

[2] يحيى بن خالد البرمكي كان كاتب هارون الرشيد قبل أن يلي الخلافة، ثم أصبح وزيره بعد أن تولاها، وأصبح هو وأولاده الفضل وجعفر من علية القوم في الخلافة الرشيدية.

[3] عبد الملك بن عمير تابعي كوفي، قاضي الكوفة قبل عامر الشعبي، وأحد رواة الحديث النبوي. روى له الجماعة.

[4] سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي (٢ . ٥٩ هـ)، مات أبوه يوم بدر في جيش قريش، وهو صحابي صغير مات النبي وله تسع سنين أو نحوها، كان أحد أشراف قريش وأجوادها وفصحائها الممدّحين.

وذكر ابن مِقْسَم[1]، قال: سمعت المبرِّدَ[2] يقول: الاستماع بالعين، فإذا رأيتَ عينَ من تحدّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يحسن الاستماع. وقد روينا هذا القول عن سهل بن عبادة.

ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام، أنّه قال: "من كان له أخٌ في الله فأكرمه فإنما يكرم الله"[3].

وروينا عن ثعلب النحوي[4]، أنّه قام لصديق قصده، وأنشده:

لئن قمتُ ما في ذاكَ منها غضاضةٌ عليَّ وإنّي للكرامِ مُذَلَّلُ

على أنّها منّي لغيرِكَ هُجْنَةٌ[5] ولكنّها بيني وبينكَ تَجْمُلُ[6]

---

[1] العلامة المقرئ أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن ابن مقسم البغدادي العطار، شيخ القراء.

[2] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبَرِّد (٢١٠ – ٢٨٦ هـ)، أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري.

[3] أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في أخبار أصفهان. وهو ضعيف؛ لتدليس بقية. وضعف يحيى بن مسلم. وتدليس أبي الزبير.

[4] أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، البغدادي النحوي، الشيباني أو ثعلب (٢٠٠ هـ –٢٩١ هـ) إمام الكوفيين في عهده، وثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة الكوفة النحوية، العلّامة المحدّث، وإمام النحو، صاحب الفصيح والتصانيف، ولد ببغداد في السنة الثانية من خلافة المأمون وبها مات.

[5] الهجنة: ما يعيب الإنسان.

[6] – روى الزبيدي في طبقات النحويين عن أبي الحسن محمد بن عبدون الكاتب، أن ذلك كان مع المبرد. كما روى التنوخي في طبقات العلماء النحويين ما يؤكد أن ذلك كان مع المبرد فقال:

ولغيره في هذا المعنى[1]:

إذا ما تبدَّى لنا طالعاً حَلَلْنا الحُبا[2] وابتدَرْنا القِياما

فلا تنكرنَّ قيامي إليه فإنَّ الكريمَ يُجِلُّ الكِراما

وروينا من حديث عائشة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، أنّه قال: "أنزلوا النّاس منازلهم"[3].

قال ابن وهب[4]: سمعت مالكاً يقول: إذا الرجل عند رجلٍ جالساً، فجاءه طالبُ حاجةٍ، فسكتَ عن عونه فقد أعان عليه.

قال عمرو بن العاص: لا أَمَلُّ جليسي ما فهم عنّي، وإنما الملال لدناءة الرّجال.

ويروى أَن البحتري صَار إِلَيْهِ يَوْمًا إِلَى مَجْلِسه، فَنَهَضَ إِلَيْهِ الْمبرد، فأقسم عَلَيْهِ البحتري، فَقَالَ... البيت. وجزم محمد بن أيدمرفي كتاب الدر الفريد وبيت القصيد أن البيت لأبي خراش الهذلي، ولا أعلم علام اعتمد في هذا الجزم.

[1] قال نفطويه: كنت عند المبرد فمر به إسماعيل بن إسحاق القاضي فوثب إليه وقبل يده وأنشد:

فلما بصرنا به مقبلاً حللنا الحبا وابتدرنا القياما فلا تنكرن قيامي له فإن الكريم يجل الكراما (أدب الإملاء للسمعاني).

[2] كناية عن الانبساط وترك التكلف. والحُبا جمع حُبوة وهي الحزام فوق الثوب.

[3] رواه مسلم والحاكم في صحيحه.

[4] عبد الله بن وهب بن مسلم الفقيه المالكي من العهد العباسي، وكان يسكن مصر وهو المولود في الفسطاط سنة ١٢٥ هـ، لزم الإمام مالكاً أكثر من عشرين سنة، وقضى حياته في طلب العلم.

قال: الشّعبيّ[1] في قومٍ ذكرهم: ما رأيتُ مثلَهم أشدَّ تنابذاً[2] في مجلس، ولا أحسنَ فهماً من محدِّث.

روى الأصمعيّ[3] عن العلاء بن جرير عن أبيه، قال: قال الأحنف بن قيس[4]: لو جلس إليَّ مائةٌ لأحببتُ أن ألتمسَ رضَى كلِّ واحدٍ منهم.

وقال عبد الله بن عبّاس: أعزُّ الناس عليَّ جليسي الذي يتخطّى النّاس إليَّ، أما والله إنّ الذّباب يقع عليه فيشقُّ عليَّ.

قال كشاجم[5]:

---

[1] عامر بن شراحيل المشهور بـ الإمام الشعبي ٢١ هـ/١٠٠ هـ، تابعي وفقيه ومحدث من السلف، ولد في خلافة عمر بن الخطاب. قال الذهبي : كان إمامًا حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا. وقال ابن حجر: ثقة مشهود فقيه فاضل. وقال ابن سيرين: قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذ كثير.

[2] التنابذ: تَحَيُّزُ كُلِّ منهم لرأيه.

[3] عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي (١٢١ هـ- ٢١٦ هـ/ ٧٤٠ - ٨٣١ م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.

[4] الأحنف بن قيس (٣ ق هـ - ٧٢ هـ) سيد قبيلة تميم، يضرب به المثل في الحِلم ، وأدرك النبي ولم يره.

[5] كشاجم: محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك أبو الفتح الرملي. (ت ٣٦٠ هـ) شاعر متفنن أديب من كتّاب الإنشاء من أهل الرملة بفلسطين فارسي الأصل كان أسلافه الأقربون في العراق. تنقل بن القدس ودمشق وحلب وبغداد وزار مصر أكثر من مرة. واستقر بحلب، فكان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله والد سيف الدولة بن حمدان ثم ابنه سيف الدولة. ولفظ كشاجم

جليسٍ[1] لي أخي ثقةٍ كأنَّ حديثَه حَبَرَهْ[2]

يسرُّكَ حسنُ ظاهرِهِ وتحمدُ منه محتَضَرَهْ

ويسترُ عيبَ صاحبِهِ ويسترُ أنَّه سَتَرَهْ

وقال آخر[3]:

جليسٍ لي له أدبٌ رعايةُ مثلِه تجبُ

لو انتُقِدَتْ خلائقُهُ لبَهْرَجَ[4] عندها الذَّهَبُ

وعن ابن عبّاس، أنه قال: إنّي لأكره أن يطأ الرجل بساطي ثلاثاً فلا يُرى عليه أثري.

وعنه أيضاً رضي الله عنه، أنه سئل: من أكرمُ الناس عليك؟ قال: جليسي حتّى يفارقني.

منحوت فيما يقال، من علوم كان يتقنها: الكاف للكتابة والشين للشعر والألف للإنشاء والجيم للجدل والميم للمنطق. وقيل لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جم.

[1] في الأصل المطبوع: وجليس، بزيادة واو في أوله، وهي زيادة تخل بالوزن العروضي.

[2] الحبرة: السرور والسعادة. وفي بعض النسخ: خبره، وهو خطأ من الناسخ.

[3] هو القاضي أبو الحسن علي بن القاضي أبي حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن المنصور بن أحمد بن حيون. وتسرع الأستاذ حفني محقق النسخة المطبوعة، فنسب البيتين إلى أبيه أبي حنيفة، والصحيح كما في (وفيات الأعيان، ويتيمة الدهر) أنهما لابنه علي أبي الحسن قاضي مصر (عاش في القرني الرابع الهجري).

[4] ذهبٌ بَهْرَجٌ : زَائِفٌ، مَغْشُوشٌ. يلمع لمعاناً زائفاً.

قال معاوية[1] لعَرابةَ الأوسيّ[2]: بأيّ شيءٍ استحققتَ أن يقولَ فيكَ الشّمّاخ[3]:

رأيتُ عَرابةَ الأوسيَّ يسمو إلى الخيراتِ منقطعَ القَرينِ

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقّاها عَرابةُ باليمينِ[4]

فقال: عَرابة: سماعُ هذا من غيري أولى بك وبي يا أمير المؤمنين، فقال: عزمتُ عليك لتخبرنّي. فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي. فقال معاوية: لقد استحققت.

---

[1] معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وخال المسلمين.

[2] الصحابي عَرَابَةُ بْنُ أَوْسِ بْن قيظي بْن عَمْرو بْن زَيْد بْن جشم بْن حارثة بْن الْحَارِث. شهد أبوه أوس بن قيظي وأخواه عَبْد الله وكباثة ابنا أوس أُحُدًا. واستُصغِر عرابة يوم أحد فرد وأجيز فِي يوم الخندق.

[3] الشمّأخ بن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني شاعر مخضرم شهد الجاهلية والإسلام، عدّه البعض من طبقة لبيد بن ربيعة. ويقال أنه كان أرجز الناس على البديهة. أسلم وحسن إسلامه. وله صحبة. جاهد في فتوح العراق، وكان يحث الناس في القادسية على القتال. غزا أذربيجان مع سعيد بن العاص.

[4] روى ابن قتيبة في الشعر والشعراء، وأبو بكر الدِّينَوري في المجالسة وجواهر العلم أن الشَّمَّاخُ بْنُ ضِرَارٍ خَرَجَ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَصَحِبَ عَرَابَةَ بْنَ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيَّ، فَسَأَلَهُ عَرَابَةُ عَمَّا يُرِيدُ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ: أَمْتَارُ لِأَهْلِي طَعَامًا، وَكَانَ مَعَهُ بَعِيرَانِ؛ فَأَنْزَلَهُ فِي مَنْزِلِهِ، وَأَوْقَرَ لَهُ بَعِيرَيْهِ بُرًّا وَتَمْرًا، فَقَالَ الشَّمَّاخُ ذلك.

قال عليّ بن الحسين[1]: ما جلس إليَّ أحدٌ قط، إلاّ عرفت له فضله حتى يقوم.

قال أبو عبادة[2]: ما جلس رجل بين يديَّ، إلا مثّل لي أني جالس بين يديه.

روي عن عبد الله بن يزيد[3]، وقد روي ذلك لأبي حازم، أنه قال: وطِّن نفسك على الجليس السوء، فإنه لا يكاد يخطئك. وقد روي ذلك عن الأحنف، والله أعلم.

قال بعض الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غير حقِّهما: رجلٌ وسّع له في مجلس ضيّق فتربّع وتفتح، ورجلٌ أهديتْ إليه نصيحةٌ فجعلها ذنْباً.

---

[1] علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد سنة ثمان وثلاثين. وحدث عن أبيه الحسين الشهيد، وكان معه يوم كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعوكاً فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرمه يزيد، ورده مع آله إلى المدينة.

[2] لعله عيسى بن عبد الرحمن الأنصاري: أبو عبادة الأنصاري, المدني, الزرقي.

[3] عبد الله بن يزيد بن عبد الرحمن الأهوازي الأصل، البصري المكي المقرئ. (١٢٠ هـ - ٢١٣ هـ) أحد العلماء ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة. كان مولى لآل عمر بن الخطاب، سكن مكة وأصله من ناحية البصرة. وهو من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ومن كبراء شيوخ الإمام البخاري.

وقال مِسْعر بنُ كِدام[1]: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي في ستر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع.

قال الأحنف[2]: لأن أُدعى من بعدٍ أحبُّ إليَّ من أن أقصى عن قرب.

وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ما جلست مجلساً قطُّ، أخاف أن أُقام منه لغيري. وقال البَعيث بنُ حريث[3]:

وإنّ مكاني في النّديِّ[4] ومجلسي ... له الموضعُ الأقصى إذا لم أقرّبِ[5]

ولستُ وإنْ قُرِّبتُ يوماً ببائعٍ ... خَلاقي ولا ديني ابتغاءَ التّحبُّبِ

ويعتدُّهُ قومٌ كثيرٌ تجارةً ... ويمنعني من ذاكَ ديني ومَنْصبي

جلس رجل إلى الحسن بن عليّ رضي الله عنه، فقال: جلستَ إلينا على حين قيام، أفتأذن؟!

---

[1] مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ بن ظهير بن عبيدة بن الحارث الهلالي الكوفي (ت ١٥٣ هـ) شيخ العراق وأحد رواة الحديث النبوي، ومن الأئمة العدول. وثقة الذهبي.

[2] الأحنف بن قيس. سبقت ترجمته.

[3] البعيث المجاشعي: خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي. خطيب، شاعر، من أهل البصرة. قال فيه الجاحظ: أخطب بني تميم إذا أخذ القناة. وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة، ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به. توفي بالبصرة.

[4] النديّ: مكان اجتماع القوم، النادي.

[5] والأبيات وردت في مجموعة صدرها: خيال لأم السلسبيل ودونها ... مسيرة شهر للبريد المذبذبِ

وكان يقال: إياكَ وكلَّ جليسٍ لا تصيبُ منه خيراً.

وعن معاذ بن جبل، أنه قال: إيّاكَ وكلَّ جليسٍ لا يفيدك علماً.

وكان يقال: من سرّه أن يعظم حلمُه، وينفعه علمُه، فليقلَّ من مجالسته من كان بين ظهرانيه.

وقال الحسن البصريّ: انتقوا الإخوان والأصحاب والمجالس.

وروى هشام بن عروة[1] عن محمّد بن المنكدر[2]، قال: كان يقال: خياركم أَلْيَنُكم مناكبَ في الصلاة، وركناً في المجالس، الموطَّأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون.

تباعد كعبُ الأحبار[3] يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلستَ إلى

---

[1] هشام بن عروة (٦١ –١٤٦ هـ): هشام بن عروة بن الزبير بن العوام من حفاظ الحديث، ورواته. سمع من أبيه، وعمه عبد الله بن الزبير.

[2] التابعي محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي (٥١ – ١٣٠ هـ) روى له البخاري ومسلم.

[3] كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق (نحو ٧٢ ق هـ – ٣٢ هـ) إخباريّ عالم بسِيَر الأنبياء والرُّسل. كان يهودياً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم في خلافة أبي بكر الصِّديق، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة وكثيراً من «الإسرائيليات». خرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، عن عُمِّر مئةً وأربعَ سنين. قال الذهبي: كان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء.

ذي سلطان فليكن بينَك وبينَه مقعد رجل، فلعلّه يأتيه من هو آثَرُ عنده منك فينحّيَك فيكونَ نقصاً عليك.

وكان يقال: الجليس الصّالح خير من الوَحدة، والوَحدة خيرٌ من الجليس السّوء.

وعن جعفر بن سليمان الضّبعيّ[1] قال: رأيت مع مالك بن دينار[2] كلباً، فقلت له: ما هذا؟ قال هذا خيرٌ من الجليس السوء.

قال زيادٌ: إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلساً أن يعرف أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس، فأدع ما لي مخافةَ أن أدفع عمّا ليس لي.

وكان الأحنف إذا أتاه رجلٌ أوسع له، فإن لم يكن له سَعة أراه كأنّه يوسع له.

طرح أبو قِلابة[3] لجليس له وسادة، فردّها فقال له: أما سمعت الحديث: "لا تردَّن على أخيك كرامتَه"[4].

---

[1] جعفر بن سليمان الضبعي الحرشي البصري أبو سليمان مولى بني حريش. وكان ينزل في بني ضبيعة روى عن ثابت ومالك بن دينار وأبي عمران الجوني ويزيد الرشك وروى عنه ابن المبارك وأبو الوليد الطيالسي.

[2] مالك بن دينار البصري، من أعلام التابعين ومن أعيان كتبة المصاحف.

[3] أبو قِلَابَة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، تابعي، وراوي حديث نبوي ثقة، وفقيه، توفي سنة ١٠٤ هـ.

[4] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. والحديث ضعيف، لأنه مرسل.

قال ابن شُبرمة[1] لابنه: يا بنيّ! إياك وطولَ المجالسة، فإنَّ الأُسْدَ إنما يَجترِئ عليها من أدام النظرَ إليها.

وهذا عندي مأخوذٌ من قول أردشير[2] لابنه: يابنيّ لا تمكِّنِ الناسَ من نفسِك؛ فإن أجرأ النّاس على السّباع أكثرهم لها معاينة. ومن هذا – والله أعلم – أخذ ابن المعتزّ[3] قوله:

رأيتُ حياةَ المرءِ تُرخِصُ قدرَهُ فإن مات أغلتْهُ المنايا الطّوائحُ[4]

كما يُخلِقُ الثّوبَ الجديدَ ابتذالُهُ كذا تُخْلِقُ المرءَ العيونُ اللّوامحُ[5]

---

[1] عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي وهو عم عمارة بن القعقاع. يلقب: الإمام العلامة فقيه العراق قاضي الكوفة، تابعي من صغار التابعين، ومن رواة الحديث، وثقه أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي وغيرهما.

[2] أردشير بن بابك بن ساسان حاكم إصطخر ووالي فارس أسقط الإمبراطورية البارثية وأصبح أول الملوك الساسانيين ولد في بلاد فارس في قرية طيروده من قرى مدينة اصطخر.

[3] عبد الله بن المعتز بالله: أحد خلفاء الدولة العباسية، وكنيته أبو العباس، ولد عام (٢٤٧ هـ)، في بغداد، وكان أديباً وشاعراً ويسمى خليفة يوم وليلة، حيث آلت الخلافة العباسية إليه، ولقب بالمرتضى بالله، ولم يلبث يوماً واحداً حتى هجم عليه غلمان المقتدر بالله وقتلوه في عام (٢٩٦ هـ).

[4] الطوائح: الشديدة المهلكة، جمع طائحة.

[5] وردا في ديوانه ضمن أبيات مطلعها: لقد صاح بالبين الحَمام النوائحُ وهاجت لك الشوقَ الحُمولُ الروائحُ

ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع على جليسك حديثَه، أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به خبراً كان أو شعراً، وتتمّ له البيت الذي بدأ به، وتريه أنك أحفظ منه، فهذا غايةٌ في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلاّ منه.

قيل لداود الطّائّي[1]: لم تركتَ مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلاّ كبيرٌ يتحفّظ[2] عليك، أو صغيرٌ لا يوقِّرك.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى[3]: لا تجالسْ عدوَّك، فإنه يحفظ عليك سقطاتِك ويماريك في صوابِك.

قالت الخنساء[4]:

إنّ الجليسَ يقولُ القولَ تحسبُهُ خيراً وهيهاتَ فانظرْ ما به التَمسا

---

[1] داود الطائي (ت ١٦٥هـ) داود بن نصير الطائي. كان في أيام الخليفة المهدي وكان كبير الشأن. أصله من خراسان، ومولده بالكوفة. رحل إلى بغداد، فأخذ عن أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة، فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات فيها.

[2] يتحفظ: يتكلَّم بحذر، ويحترز وينقبض ولا ينبسط.

[3] عبد الرحمن بن أبي ليلي الأنصاري (١٧ - ٨٣ هـ) أحد رواة الحديث النبوي وأحد كبار التابعين.

[4] جزم الدكتور محمد الحافظ الروسي في مقال له أن هذا البيت من بعض ما نسبه المتأخرون للخنساء من شعر مما ليس لها، وأنه ليس في ديوانها.

كان يقال: رأس التّواضع الرّضا بالدُّون من المجلس. وهذا يروى عن ابن مسعود أنّه قال: إنّ من التواضع أن ترضى بالدُّون[1] من المجلس، وأن تبدأ بالسّلام مَنْ لَقِيت.

قال إبراهيم النَّخعيّ[2] إنّ الرجل ليجلس مع القوم فيتكلّم بالكلام، يريد اللهَ به، فتصيبه الرَّحمة فتعمُّ من حوله، وإنّ الرجل يجلس مع القوم فيتكلّم بالكلام يسخط اللهَ به، فتصيبه السَّخطة فتعمُّ من حوله.

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً في مجلسه، فرفع رأسه إلى السّماء ثم طأطأه ثم رفعه فسئل عن ذلك فقال: "هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون الله فنزلتْ عليهم السّكينة، وغشيتْهم الرّحمة، وحفَّتهم الملائكة كالقبّة، فلما دنتْ منهم تكلّم رجلٌ منهم بباطلٍ فرُفعتْ عنهم ثم تلا: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ)[3].

وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام، أنه قال: "ما جلس قومٌ مجلساً يقرءون فيه القرآن، ويذكرون السُّنن، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم، إلاّ حفّت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السّكينة، وغشيتْهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده، فقيل له يا رسول الله الرّجل يجلس إليهم وليس منهم، ولا

---

[1] الدون: البسيط، الحقير، الهين، المتواضع، غير المناسب.

[2] إبراهيم بن يزيد النخعي (٤٧ – ٩٦ هـ) تابعي وفقيه وقارئ كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي.

[3] رواه السيوطي في الخصائص الكبرى وإسناده ضعيف: مرسل.

شأنُه شأنُهم، أتأخذه الرحمة معهم؟ قال: نعم، هم القوم لا يَشْقى بهم جليسُهم"[1].

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب[2]، ويقال إنها له[3]:

إنْ صَحِبْنا الملوكَ تاهُوا وعَقُّوا ... واستخَفُّوا كِبراً بحقِّ الجليسِ[4]

أو صَحِبْنا التُّجارَ صِرْنا إلى البؤ ... سِ وعدْنا إلى عِدادِ الفلوسِ

---

[1] رواه مسلم في صحيحه.

[2] أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، البغدادي النحوي، الشيباني (٢٠٠ -٢٩١ هـ) إمام الكوفيين في عهده، وثالث ثلاثة قامت على أعمالهم مدرسة الكوفة النحوية، العلّامة المحدث، وإمام النحو.

[3] وقد نسبها الوَصَابي في كتاب (نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف) إلى الشافعي، وزاد عليها ثلاثة أبيات:

إن صَحِبنَا الْمُلُوك تاهوا علينا ... واستبدوا بِالرَّأْيِ دون الجليسِ

أَو خدمناهم بِقَبضٍ وَبسطٍ ... كَانَ أدعى إِلَى دُخُول الحبوسِ

أَو صَحِبنَا التُّجَّار عدنا إِلَى اللوم ... وصرنا إِلَى حِسَاب الْفُلُوسِ

أَو لزمنا السِّلَاح نبغي بِهِ الْعِزّ ... تعدى إِلَى احترام النُّفُوسِ

فلزمنا الْبيُوت نتَّخذ الحِبر ... ونطلي بِهِ وُجُوه الطروسِ

ونناجي الْعُلُوم فِي كل فنٍّ ... عوضاً عَن منادمات الكؤوسِ

ونسبها ابن عساكر في تاريخ دمشق لابن بسام العريب وبذا قال ابن منظور في لسان العرب.

[4] قال ابن عبد البر في جامع العلوم والحكم: قِيلَ لأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ثَعْلَبٍ: " تَوَحَّشْتَ مِنَ النَّاسِ جِدًّا، فَلَوْ تَرَكْتَ لُزُومَ الْبَيْتِ بَعْضَ التَّرْكِ، وَبَرَزْتَ لِلنَّاسِ كَانُوا يَنْتَفِعُونَ بِكَ وَيَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ: إِنْ صَحِبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا عَلَيْنَا.

فلزمْنا البيوتَ نستخرجُ العلـ ـمَ ونَمَلا به بطونَ الطُّروسِ

كان يقال: ذوو المروءة والدّين إذا أحرزوا القوت لزموا البيوت.

وأنشد أبو عبد الله بن الأعرابيّ[1] – صاحب الغريب –:

لنا جلساءُ ما نملُّ حديثَهم ألبّاءُ مأمونونَ غيباً ومَشْهَدا[2]

يُفيدوننا من علمِهم علمَ ما مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مُسَدَّدا

بلا فتنةٍ تُخشى ولا سوءِ عشرةٍ ولا نتّقي منهمْ لساناً ولا يَدا

فإنْ قلتُ أمواتٌ فلستُ بكاذبٍ وإن قلتُ أحياءٌ فلستُ مُفَنَّدا[3]

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع، ذكرناه مع الأبيات في آخر كتاب "بيان العلم وفضله".

---

[1] ابن الأَعرابي: أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، إمام لغة وراوية وناسِب وعلامة باللغة، له مصنفات أدبية كثيرة، ولد في ١٥٠ هـ ومات بسامراء في ٢٣١ هـ. من أعلام أهل الكوفة. قال ثعلب: شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان وكان يُسأل ويُقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ولقد أملى على الناس ما يحمل على الجمال ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه.

[2] وقد اختلف في نسبة هذه الأبيات اختلافاً كثيراً؛ فقد نسبها بعضهم لابن المبارك، كما فعل جامع ديوانه، ونسبها ابن النديم في الفهرست إلى كلثوم بن عمرو العتابي. وأوردها الخطيب البغدادي في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي بغير نسبة.

[3] المفَنَّدُ : الضعيفُ الرَّأْي.

ولمحمد بن بشير[1] في هذا المعنى من قصيد له[2]:

فصرتُ في البيتِ مسروراً تحدّثني ... عن علمِ ما غاب عنّي في الورى الكتبُ

فرداً تخبّرني الموتى وتنطق لي ... فليس لي في أناسٍ غيرِهم أَرَبُ

للهِ من جلساءٍ لا جليسُهم ... ولا خليطُهم للسوءِ مُرْتقِبُ

لا بادراتِ الأذى يَخشى رفيقُهُمُ ... ولا يلاقيه منهمْ منطقٌ ذَرِبُ

أبقَوا لنا حِكَماً تبقى منافعُها ... أُخرى اللّيالي على الأيّامِ وانشعبوا

إنْ شئتُ من محكمِ الآثارِ يرفعُها ... إلى النّبيِّ ثقاتٌ خِيرةٌ نُجُبُ

أو شئتُ من عَرَبٍ عِلماً بأوّلهم ... في الجاهليةِ تنبّيني بها العربُ

أو شئتُ من سِيَرِ الأملاكِ من عَجَمٍ ... تُنبي وتخبرُ كيف الرّأيُ والأدبُ

حتى كأنّيَ قد شاهدتُ عصرَهَمُ ... وقد مضتْ دونَهم من دهرِنا حِقَبُ

ما مات قومٌ إذا أبقَوا لنا أدباً ... وعلمَ دينٍ ولا بانوا ولا ذهبوا

---

[1] محمد بن بشير (٥٠ – ١٣٠ هـ) شاعر أموي عاش في المدينة المنورة في مكان يُسمى الروحاء.

[2] وقد نسبها الجاحظ في (الحيوان) إلى من سماه ابن يسير ضمن أبيات أولها: (أقبلت أهرب لا آلو مباعدة ... في الأرض منهم فلم يحصنّي الهربُ). وأكد ذلك الخطيب البغدادي في كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي فقال عن أَبِي حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيّ وَذكرت الْكُتُب وَالدَّفَاتِر بِحَضْرَتِهِ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ابْنُ يَسِيرٍ... الأبيات. وأخشى أن يكون ذلك خطأ من النساخ في الموضعين السابقين فكتبوا: ابن يسير بدل ابن بشير، وهو الأرجح.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "كفارة ما يكون في المجلس من اللّغط أن تقول: سبحانك اللّهمّ وبحمدك، لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك"[1].

وفي حديث آخر: "كفارة ما يكون في المجلس ألاّ تقوم حتّى تقول: سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، يا ربّ تب عليّ واغفر لي، فإن كان مجلس لغوٍ كان كفّارته، وإن كان مجلس ذكرٍ كان كالطّابع عليه"[2].

وقال حسّان بن عطيّة[3]: ما من قوم كانوا في مجلس لغوٍ فختموه بالاستغفار إلاّ كتب لهم مجلسُهم ذلك استغفاراً كلُّه.

وروي عن جماعةٍ من أهل العلم بتأويل القرآن، في قول الله عز وجل: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ)، منهم مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك، قالوا: ومن قالها غفر له ما كان منه في المجلس.

---

[1] أخرجه الترمذي والنسائي والدارمي والطبراني والحاكم. وصححه الألباني.

[2] أخرجه النسائي والطبراني وأبو نعيم وابن حبان والحاكم. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

[3] حسان بن عطية المحاربي الشامي, الدمشقي، ثقة.

وقال عطاء[1]: إن كنتَ أحسنتَ ازددتَ إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة.

ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وبحمده من كلّ مكانٍ ومن كلّ مجلس.

باب حمد اللّسان وفضل البيان

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظنّ أنها تبلغ ما بلغتْ يكتبُ اللهُ له بها رضوانه إلى يوم القيامة حتّى يلقاه ..."[2] الحديث.

قال معاذ: قلت يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله"[3].

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنه قال: "أفضل الصدقة صدقة اللسان، تدفع بها الكريهة، وتحقن بها الدم"[4].

---

[1] عطاء بن أبي رباح (٢٧ – ١١٤ هـ) فقيه وعالم حديث، ومن الفقهاء والتابعين في القرن الأول والثاني الهجري. أخذ عن أم المؤمنين عائشة وأبي هريرة وأم سلمة وأم هانئ وابن عباس وعبد الله بن عمرو وابن عمر وجابر

[2] رواه البخاري في الصحيح.

[3] صححه الحاكم، والألباني في صحيح الترمذي.

[4] أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، والبيهقي. وهو ضعيف جد اً؛ وذلك لضعف سلمى الهذلي.

وقال عليه الصلاة والسلام: "أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند ذي سلطان جائر"[1].

قال أبو عنبة الخولاني[2] رحمه الله: ربَّ كلمةٍ خيرٌ من إعطاء المال.

وقال أبان بن سليم: كلمة حكمة لك من أخيك، خير لك من مالٍ يعطيك؟ لأنّ المال يطغيك والكلمة تهديك.

قالوا: خير الكلام ما دلّ على هُدى، أو نهى عن رَدَى.

ذُكر عند الأحنف بن قيس الصمت والكلام، فقال قومٌ: الصمت أفضل، فقال الأحنف: الكلام أفضل لأن الصمت لا يعدو صاحبَه، والكلام ينتفع به من سمعه، ومذاكرة الرّجال تلقيحٌ لعقولها.

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "رحم الله عبداً تكلّم بخيرٍ فغنِم، أو سكت فسلِم"[3].

قال سعيد بن جبير[4]: رأيت ابن عبّاس رضي الله عنه في الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول: يا لسان قل خيراً تغنم، أو اسكت تسلم.

---

[1] حسّنه الترمذي، وصحّحه الألباني في الصحيحة.

[2] أَبو عِنَبَةَ الخَوْلاَنِي عَبْدُ اللّهِ بن عِنَبَةَ: من صغار الصحابة، صحب معاذ بن جبل وسكن حمص، وشهد معركة اليرموك.

[3] أخرجه القضاعي في الشهاب. وهو ضعيف؛ لجهالة عياش السكري.

[4] سعيد بن جبير: الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، (٩٥-٤٦ هـ) تابعي، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والسيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة، سكن الكوفة ونشر العِلم فيها وكان من علماء التابعين، فأصبح إماماً ومعلماً لأهلها،

وقالوا السّكوت سلامة، والكلام بالخير غنيمة، ومن غنم أفضل ممن سلم.

قال أعرابيّ: من فضل اللّسان، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح.

وقال عبد الملك بن مروان: الصمت نومٌ والنُّطق يقظة.

قال خالد بن صفوان[1]: ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة ممثَّلة، أو بهيمة مرسلَة، أو ضالّةٌ مهمَلة.

كان يقال: الألسن خدم القرائح.

قال ربيعة الرأي[2]: السّاكت بين النائم والأخرس.

قالو: إنما المرء بأصغريه: لسانِه وقلبِه.

كان يقال: اللسان ترجمان الفؤاد، واللسان حيّة الفم.

قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية.

[1] خالد بن صفوان المنقري التميمي من فصحاء وخطباء العرب المشهورين , ولد ونشأ في البصرة وكان أيسر أهلها مالاً ولم يتزوج. له كلمات وأمثال كثيرة كان يجالس الكثير من الخلفاء منهم عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وعاش حتى أدرك الدولة العباسية وكان مقرباً من الخليفة العباسي أبي العباس السفاح وحظي عنده بمكانة عظيمة وكان يسكت كل من يناظره أو يخاطبه لذلك كان يسمى بفصيح مضر وفصيح العرب.

[2] ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ التيمي المدني، المعروف بربيعة الرأي، (ت ١٣٦ هـ) تابعي من حفَّاظ الحديث النبوي، وفقيه مجتهد، كان من أصحاب الرأي. قال ابن الماجشون: «ما رأيت أحد أحفظ لسنَّة من ربيعة». وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه مالك بن أنس.

كان يقال: يجد البليغ من ألم السّكوت ما يجد العَيِيُّ من ألم الكلام.

وقالوا: المرء مخبوءٌ تحت لسانه.

وقال حسان بن ثابت[1]:

لساني وسيفي صارمانِ كلاهما ويبلغُ ما لا يبلغُ السّيفَ مِذْودي[2]

وقال جرير[3]:

وليس لسيفي في العِظامِ بقيَّةٌ ولا السّيفُ أشوى وقعةً من لسانيا[4]

---

[1] حسان بن ثابت الأنصاري شاعر عربي وصحابي من الأنصار، ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كما كان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه، ثم أسلم وصار شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة. توفي أثناء خلافة علي بن أبي طالب بين عامي ٣٥ و٤٠ هـ.

[2] والبيت من قصيدته التي مطلعها: لعمر أبيك الخير يا شعثُ ما نبا عليَّ لساني في الخطوب ولا يدي

[3] جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي (٣٣ هـ – ١١٠ هـ) شاعرُ من بني كليب بن يربوع من قبيلة بني تميم وهي قبيلة في نجد. ولد في بادية نجد، من أشهر شعراء العرب في فن الهجاء وكان بارعًا في المدح أيضًا. كان جرير أشعر أهل عصره، ولد ومات في نجد، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمانه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. بدأ حياته الشعرية بنقائض ضد شعراء محليين ثم تحول إلى الفرزدق "ولج الهجاء بينهما نحواً من أربعين سنة".

[4] والبيت من قصيدته التي مطلعها: أَلا حَيِّ رَهبى ثُمَّ حَيِّ المطالِيا فَقَد كانَ مَأنوساً فَأَصبَحَ خالِيا

وقال الخليل بن أحمد[1]:

أيُّ شيءٍ من اللّباس على ذي السـ سرو[2] أبهى من اللّسان البهيِّ[3]

قال ابن سيرين[4]: لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان، ولا شيء أزين على المرأة من الشحم.

قال الشاعر[5]:

وكائنْ ترى من ساكتٍ لك معجبٍ زيادتُه أو نقصُه في التّكلّمِ

لسانُ الفتى نِصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يَبْق إلا صورةُ اللّحمِ والدّمِ

---

[1] الخَلِيل بن أحمد الفراهيدي البصري (١٠٠ هـ١٧٠ هـ)؛ ، شاعر ونحوي عربي بصري، يُعد علمًا بارزًا وإمامًا من أئمة اللغة والأدب العربيين، وهو واضع علم العروض.

[2] السرو: الشرف والمروءة.

[3] والبيت من قصيدته التي مطلعها: لا يَكونُ السَرِيُّ مِثلُ الدَنِيِّ لا وَلا ذو الذَكاءِ مِثلُ الغَبِيِّ

[4] ابن سيرين: أبو بكر محمد بن سيرين البصري. التابعي الكبير والإمام القدير في التفسير، والحديث، والفقه، وتعبير الرؤيا، والمقدم في الزهد والورع وبر الوالدين، توفي ١١٠ هـ، بعد الحسن البصري بمائة يوم، وكان عمره ٧٨ عاماً.

[5] البيتان نسبا إلى زهير بن أبي سلمى وهما في ديوانه من قصيدة: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلمِ بحومانة الدراج فالمتثلَّمِ) ونسبا أيضاً إلى بلعاء بن قيس الكناني.

قال أبو العتاهية[1]:

وللناسِ خَوضٌ في الكلام وألسنٌ وأقربُها من كلِّ خيرٍ صَدوقُها[2]

وروى ابن عمر قال: قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا"[3]. فتأولت طائفة هذا على الذمّ لأن السحر مذموم، وذهب الأكثر من أهل العلم، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن، وقد أوضحنا هذا في كتاب التمهيد والحمد لله.

وقد قال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة، فأعجبه قوله وقال: هذا – والله – السحر الحلال.

---

[1] إسماعيل بن القاسم بن سويد العنزي ولد في عين التمر سنة ١٣٠هـ، ثم انتقل إلى الكوفة، كان بائعاً للجرار، مال إلى العلم والأدب ونظم الشعر حتى نبغ فيه، ثم انتقل إلى بغداد، واتصل بالخلفاء، فمدح الخليفة المهدي والهادي وهارون الرشيد. في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار بن برد وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. وأبو العتاهية كنية غلبت عليه لما عرف به في شبابه من مجون ولكنه كف عن حياة اللهو والمجون، ومال إلى التنسك والزهد.

[2] والبيت من قصيدته التي مطلعها: أَلا رُبَّ أَحزانٍ شَجاني طُروقُها فَسَكَّنتُ نَفسي حينَ هَمَّ خُفوقُها

[3] رواه البخاري في صحيحه.

وقال عليّ بن العبّاس الرومي[1]:

وحديثُها السِّحرُ الحلالُ لو انَّه لم يَجْنِ قتلَ المسلمِ المتحرِّزِ[2]

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب.

وقال الحسن: الرجال ثلاثةٌ: رجل بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله.

وكان يقال: في اللسان عشر خصال: أداةٌ يظهرها البيان، وشاهدٌ يخبر عن الضمير، وحاكمٌ يفصل به القضاء، وناطقٌ يُردّ به الجواب، وشافعٌ تُقضى به الحاجات، وواصفٌ تُعرف به الأشياء، وواعظٌ يَنهى به عن القبيح، ومعزٍّ تَسكن به الأحزان، وملاطفٌ تَذهب به الضغينة ومونِّقٌ[3] يُلهي الأسماع.

ونظر معاوية إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما، فأتبعه بصره ثم قال متمثلاً[4]:

إذا قال لم يتركْ مقالاً لقائلٍ مصيبٍ ولم يثن اللسانَ على هُجرِ

يصرّفُ بالقولِ اللّسانَ إذا انتحى وينظرُ في أعطافِهِ نظرَ الصّقرِ

---

[1] أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ،وقيل جورجيس، المعروف بابن الرومي شاعر من شعراء القرن الثالث الهجري في العصر العباسي.

[2] والبيت في ديوانه.

[3] مونق: حسن له أنق وهاء ورونق وإعجاب.

[4] عبارة ابن قتيبة في عيون الأخبار تومئ إلى أنهما لمعاوية ولم يقلها على سبيل التمثل والاستشهاد، وهي (وقال معاوية في عبد الله بن عبّاس). أما عبارة الجاحظ في (الحيوان) فتصرح بأنهما لحسان؛ إذ قال: (وقال حسّان يذكر بيان ابن عبّاس). هذا ولم يرد البيتان في ديوان حسان بن ثابت.

ولحسان بن ثابت[1] في ابن عبّاس:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بمنطلقاتٍ لا ترى بينها فصْلا

شفى وكفى ما في النّفوسِ فلم يَدَعْ لذي إربةٍ في القولِ جِدّاً ولا هَزْلا

في أبيات قد ذكرتها في باب ابن عباس من كتاب "الصحابة".

كان يقال: الجمال في اللسان.

قيل للأعرابي: ما الجمال؟ قال: طول الجسم، وضخم الهامة، ورحب الشّدق، وبُعد الصّوت.

قال حبيب[2]:

لسانُ المرءِ من خدمِ الفؤادِ

وقال آخر[3]:

والقولُ ينفذ ما لا ينفذُ الإبرُ

قال امرؤ القيس:

وجرحُ اللّسانِ كجرحِ اليدِ

قال ابن أبي حازم[4]:

أوجعُ من وقعةِ السّنانِ لذي الحجا وخزةُ اللّسانِ

---

[1] في أبياته التي مطلعها: إذا ما ابنُ عَبّاسٍ بَدا لَكَ وَجهُهُ رَأَيتَ لَهُ في كُلِّ أَحوالِهِ فَضلا

[2] أبو تمام الشاعر الشهير.

[3] هو الأخطل الشاعر الشهير.

[4] انظر عيون الأخبار لابن قتيبة.

باب ذمّ العِيّ وحشو الكلام

قال أبو هريرة: لا خير في فضول الكلام.

وقال عطاء: كانوا يكرهون فضول الكلام.

وقال: بترك الفضول تكمل العقول.

وقال: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا مباحاً.

وقال: الصّمت صيانة اللّسان، وستر العِيّ.

وقالوا: العِيّ الناطق أعيا من العِي الساكت.

وقالوا: أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، وما ظهر معناه في لفظه.

وروى عبد الله بن عمر، أنّه قيل له: لو دعوت لنا بدعواتٍ. فقال: اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا. فقال رجلٌ لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أعوذ بالله من الإسهاب.

وقال شفيّ بن ماتع[1]: من كثر كلامه كثرت خطاياه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثر سقطه.

قال يعقوب عليه السلام لبنيه: يا بَنِيَّ إذا دخلتم على السلطان فأقلُّوا الكلام.

---

[1] شفيّ بن ماتع الأصبحيّ المصرى (ت ١٠٥هـ) روى عن ابن عمرو بن العاص، وأبي هريرة. كان عالماً حكيماً.

قال ابن هبيرة[1]: ما من شيء إلاّ وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً، إلاّ فضول الكلام.

قال الحسن: رحم الله عبداً أوجز في كلامه، واقتصر على فصاحته، فإن الله يكره كثرة الكلام.

وكان يقال: أفضل الكلام ما قلّت ألفاظُه وكثرت معانيه، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب[2] فقال:

خيرُ الكلامِ قليلُ ... على كثيرٍ دليلُ
والعِيُّ معنىً قصيرُ ... يحويه لفظٌ طويلُ

وقال أبو العتاهية[3]:

الصّمتُ أَلْيَقُ بالفتى ... من منطقٍ في غيرِ حينِهْ
لا خيرَ في حشوِ الكلا ... مِ إذا اهتديتَ إلى عيونِهْ

---

[1] سبقت ترجمته.

[2] أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون الكاتب النديم، شيخ أهل اللغة ووجههم، أستاذ أبي العباس. قرأ عليه قبل ابن الأعرابي، وكان خصيصا بأبي محمد العسكري وأبي الحسن قبله. له كتب، منها: كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية، كتاب بني مرة بن عوف، كتاب بني النمر بن قاسط، كتاب بني عقيل، كتاب بني عبد الله بن عطفان، كتاب الطي، شعر العجير السلولي وصنعته، شعر ثابت بن قطنة وصنعته، كتاب بني كليب بن يربوع، أشعار بني مرة ابن همام، نوادر الأعراب.

[3] انظر كتاب لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

وقال منصور الفقيه[1]:

تعمّدْ لحذفِ فضولِ الكلامِ إذا ما نأيتَ وعند التّداني

ولا تكثرنَّ فخيرُ الكلامِ الـ ـقليلُ الحروفِ الكثيرُ المعاني

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – وقد عزله: لم عزلتني: قال: بلغني أنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.

تكلّم ربيعة الرأي يوماً فأكثر الكلام، فأعجبته نفسه، وإلى جنبه أعرابيّ فقال له: يا أعرابي ما تعدّون البلاغةَ؟ فقال: قلة الكلام. قال: ما تعدون العِيّ فيكم؟ فقال: ما كنتَ فيه منذ اليوم.

وأنشد الخشني[2] – رحمه الله –:

وما العِيّ إلا منطقٌ متتابعٌ سواءٌ عليه حقُّ أمرٍ وباطلُهْ[3]

---

[1] انظر كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني.

[2] أبو عبد الله محمد بن الحارث الخُشَني القيرواني الأندلسي (٢٩٩ – ٣٦١ هـ)، محدّث، وفقيه، ومؤرخ، قدم الأندلس واستوطن قرطبة.

[3] نقل الأستاذ الخولي محقق المطبوعة عن أسامة بن منقذ في لباب الآداب أن البيت لعبد الله بن بكر المزني، وعبارة اللباب لا تشعر بذلك؛ فهي: (كان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله يُطيل الصمت ويُنشدُ .... البيت) ومعلوم أن الإنشاد ليس بالضرورة دليلاً على أنه للمنشد. وبخاصة أن ابن عبد البر في أدب المجالسة قد أورد عبارة توحي بأن الخشني هو صاحب البيت؛ إذ قال: قال الخشني. ولم يقل كما قال هنا: أنشد. وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت: وأنشدني الرياشي... البيت. وقال الخطابي في كتاب غريب الحديث: أنشدني محمد بن عَبْد الواحد النحوي أنشدنا المبّرد..... البيت. وقال الوشاء في كتاب الموشى:

قالت العرب: لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق[1].

قال النّمر بن تولب[2]:

أعذني ربِّ من حصْرٍ وعِيٍّ ومن نفسٍ أعالجُها عِلاجا

ومن حاجاتِ نفسي فاعصمَنّي فإنَّ لمضمراتِ النَّفسِ حاجا

وقال آخر[3]:

عجبتُ لإدلالِ العَيِيِّ بنفسِهِ وصمتِ الذي قد كان بالحقِّ أعلما

وفي الصّمتِ سترٌ للعَيِيِّ وإنّما صحيفةُ لبِّ المرءِ أن يتكلّما

قال بعض الحكماء: ليس شيء إلاّ إذا ثنيتَه قصر إلا الكلام، فإنك كلّما ثنيتَه طال.

قالوا: أعيا العِيِّ بلاغةٌ بعِيٍّ، وأقبح اللّحن لحنٌ بإعراب.

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمُّه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلاّ في النّساء والضعفاء.

ذمّ أعرابيّ رجلاً، فقال: هو من يتامى المجالس، أعيا ما يكون عند جلسائه، أبلغ ما يكون عند نفسه.

---

[1] الفائق: الممتازُ المتفوق على غيره من النَّاس. والمائق: الأحمق.

[2] النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ بْنُ زُهَيْرٍ شاعر مخضرم وكان شاعر الرباب في الجاهلية ومن الفرسان المعدودين وكان أحد اجواد العرب المذكورين عمر طويلا وأدرك الإسلام وأسلم. كان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجود شعره، وجعله أبو زيد القرشي من أصحاب المجمهرات.

[3] منسوبة للخطفي جد جرير، ومنسوبة أيضاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

باب في اجتناب اللّحن وتعلّم الإعراب

وذمّ الغريب في الخطاب

كتب عمر إلى أبي موسى[1]: أما بعد، فتفقَّهوا في السُّنّة، وتعلَّموا العربية.

وروي عنه رحمه الله أنه قال: رحم الله امرأً أصلح من لسانه.

وقال عليّ بن محمّد العلويّ[2]:

رأيتُ لسانَ المرءِ رائدَ عقلِهِ وعنوانَه فانظرْ بماذا تعنْونُ

ولا تَعْدُ إصلاحَ اللّسانِ فإنّه يخبِّرُ عمّا عندَه ويبيِّنُ

ويعجبني زيُّ الفتى وجمالُه فيسقطُ من عينيَّ ساعةَ يلحَنُ

كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللّحن.

قال شعبة[3]: مَثَلُ الذي يتعلم الحديث ولا يتعلم النحو مَثَلُ البُرْنس لا رأس له.

---

[1] عمر بن الخطاب وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما.

[2] علي بن محمد بن ناصر بن منصور بن بسام العبرتاني الكاتب. أكثر شعره مقطعات واستفرغ شعره في هجاء أبيه محمد بن نصر وهجاء الخلفاء والوزراء وجلة الناس. وله قصائد رثى فيها أهل البيت وأبان عن مذهبه في التشيع. ومات بعد سنة الثلاثمائة بسنتين (المرزباني، معجم الشعراء).

[3] شعبةُ بْنُ الحَجَّاج بن الورد (٨٥ هـ-١٦٠ هـ) تابعي، واسطي الأصل عالم أهل البصرة وشيخها. سكن البصرة وفيها توفي. رأى من الصحابة أنس بن مالك، وعمرو بن سلمة، وسمع من أربعمئة من التابعين.

قال المأمون لأحد أولاده – وقد سمع منه لحناً –: ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أودَه، ويزين بها مشهدَه، ويفلَّ بها حُججَ خَصمه بمسكتاتِ حُكْمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، أَوَيَسُرُّ أحدَكم أن يكون لسانُه كلسان عبدِه أو أمتِه، فلا يزال الدّهرَ أسيرَ كلمتِه، قاتل الله الذي يقول[1]:

ألم تر مفتاحَ الفؤاد لسانه إذا هو أبدى ما يقول من الفمِ
وكائنْ ترى من صاحبٍ لك معجبٍ زيادتُه أو نقصُه في التّكلمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يبق إلا صورةُ اللّحمِ والدَّمِ

وقال الخليل بن أحمد:

لا يكون السّريُّ مثلَ الدّنيِّ لاّ ولا ذو الذّكاءِ مثلَ الغبيِّ
لا يكون الألدُّ ذو المقْوَلِ المر هفِ عند القياسِ مثلَ العَيِيِّ
أيُّ شيءٍ من اللّباسِ على ذي السّـ ـرو أبهى من اللّسانِ البهيِّ
ينظمُ الحُجَّةَ السّنيَّةَ في السِّلـ ـكِ من القولِ مثلَ عقدِ الهديِّ
وترى اللَّحنَ بالحسيبِ أخي الهيـ ـأةِ مثلَ الصَّدا على المشْرفيِّ
فاطلبِ النّحوَ للحِجاجِ وللشِّعـ ـرِ مقيماً والمسْندِ المرْويِّ

[1] البيتان الأخيران في ديوان زهير بن أبي سلمى. وقد نسب الأبيات الثلاثة الوشاء في (الموشى) إلى الأعور الشني. وكذا فعل البصري في الحماسة البصرية.

والخطابِ البليغِ عندَ جوابِ الـ ـقولِ تزهى بمثله في النّديِّ
وارفضِ القولَ من طُغامٍ جَفَوا عنـ ـه فقادوا بعضَه للنّسيِّ
قيمةُ المرءِ كلُّ ما يحسنُ المر ءُ قضاءً من الإمامِ عليِّ

قال ثعلب: سمعت محمد بن سلاَّمٍ[1] يقول: ما أحدث الناس مروءةً أفضل من طلب النّحو.

قال عبد الله بن المبارك: اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدريِّ في الوجه.

وقال عبد الملك: اللحن هُجْنةٌ بالشريف.

قال ابن شبرمة: إذا سرّك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في عينك من كان فيها كبيراً فتعلّم العربية، فإنها تجرِّيك وتدنّيك من السّلطان.

قال الشاعر[2]:

النّحوُ يُصْلِحُ من لسانِ الألْكنِ والمرءُ تُكرمه إذا لم يلحنِ
والنّحوُ مثل الملحِ إن ألقيتَه في كلِّ ضدٍّ من طعامِكَ يحسنِ

---

[1] محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري مولى قدامة بن مظعون، صنف كتاب طبقات فحول الشعراء، وكان من أهل الفضل والأدب.

[2] نسب البيتان إلى إسحاق بن خَلَف البهراني، وجزم بذلك المبرد في (الكامل) والزمخشري في (ربيع الأبرار).

وإذا طلبتَ من العلومِ أجلَّها فأجلُّها منها مقيمُ الألسُنِ

رأى أبو الأسود الدُّؤلي أعدالاً[1] للتجّار مكتوباً عليها: لأبو فلان!! فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون.

قال رجل للحسن البصريّ: يا أبو سعيد! فقال: كسب الدّوانيق شغلَكَ أن تقول: يا أبا سعيد.

مَرَّ خالد بن صفوانٍ بقوم من الموالي يتكلّمون في العربية، فقال: لئن تكلمتم فيها لأنتم أول من أفسدها.

وقالوا: العربية تزيد في المروءة.

وقالوا: من أحبّ أن يجد في نفسه الكِبر فليتعلم النحو.

وقال أبو شمر: قارئ النحو إذا دخله الكِبر استفاد السخط من الله، والمقت من الناس.

وقال الخليل يوماً: لا يصل أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه، إلاّ بما لا يحتاج إليه، فقد صار إذن ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه.

وروي عنه في هذا الخبر، أنه قال: من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج إليه، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يحتاج إليه.

---

[1] الأعدال: الجوالق والأكياس الكبيرة، واحدها العِدْلُ، وهو الحِمْل يكونُ على أَحدِ جَنْبي البعير، سمي بذلك لأنه يعادل ويساوي ما على الجانب الآخر من البعير، فهما عِدلان وهي أعدال وعدول. والعِدل: المثيل والنظير.

وروي أن هذه القصة عرضت مع أبي الهذيل، وروي أنها عرضت لأبي عبيدة مع النّظَّام، والذي تقدّم أصحُّ إن شاء الله تعالى.

وقال المأموني[1]:

سأترك النّحوَ لأصحابِهِ وأصرفُ الهمّةَ في الصّيدِ
إنّ ذوي النّحوِ لهم همّةٌ موسومةٌ بالمكرِ والكيدِ
يضربُ عبدُ اللهِ زيداً وما يريدُ عبدُ اللهِ من زيدِ؟

كتب غسّان بن رفيع – المعروف بدماذ[2] – إلى أبي عثمان النحوي المازني[1]:

---

[1] المأموني: عبد السلام بن الحسين المأموني، من ذرية المأمون الخليفة. بديع النظم، مدح الملوك والوزراء، وامتدح الصاحب ابن عباد فأكرمه، فحسده ندماء الصاحب وشعراؤه، فرموه بالباطل، وقالوا: إنه دعي، وقالوا فيه: ناصبي، ورموه بأنه هجا الصاحب، حتى فارقه، وكان يسمو بهمته إلى الخلافة، فاقتطعته المنية، ومرض بالاستسقاء، ومات في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

[2] رفيع بن سَلمَة بن مُسلم بن رفيع أَبُو غَسَّان كَاتب أبي عُبَيْدَة معمر بن الْمثنى وَصَاحبه الْمُخْتَص بِهِ، وَكَانَ يلقب دماذا وَمَعْنَاهُ الفسيلة وَكَانَ شَاعِرًا هجاء خَبِيث اللِّسَان فَلَمَّا أسن أنكر مَا هجا بِهِ النَّاس.

تفكّرتُ في النّحوِ حتّى مَلِلتُ وأتعبتُ نفسي به والبدنْ
فكنتُ بظاهرِهِ عالماً وكنتُ بباطِنِه ذا فطنْ
خلا أنَّ باباً عليه العفا ءُ للفاءِ يا ليتَه لم يكنْ
وللواوِ بابٌ إذا جئتُه من المقتِ أحسبُه قد لُعنْ
إذا قلتُ هاتوا لماذا يقا لُ: لستُ بآتيكَ أو تأتَيَنْ
أجيبوا لما قيلَ هذا كذا على النَّصْبِ؟ قالوا: بإضمارِ أنْ[2]

وروينا عن أبي حاتم السّجستاني[3] رحمه الله قيل: إنها له. والله أعلم.

وقال آخر[4]:

إنّما النّحوُ قياسٌ يتّبعْ وبه في كلِّ علمٍ يُنتفعْ
فإذا ما أبصر النّحوَ الفتى مرَّ في المنطق مرّاً واتَّسعْ

---

[1] أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني (؟ – ٢٤٧هـ) نحوي ومتكلِّم من البصرة، ومن أشهر علماء المدرسة البصرية في النحو. وهو أوَّل من ألَّف كتاباً مستقلاً يختصُّ بعلم الصرف.

[2] انظر عيون الأخبار لابن قتيبة. وأخبار النحويين للسيرافي.

[3] أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني ثم البصري (؟-٢٥٠هـ) مقرئ نحوي لغوي فارسي، نزيل البصرة وعالمها؛ كان إماماً في علوم الآداب، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وابن قتيبة الدينوري وغيرهم.

[4] هو عَليّ بن حَمزة الكِسائي (١٨٩-١١٩ هـ) ولد في إحدى قرى الكوفة وكان إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وسابع القراء السبعة. ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو.

واتّقاهُ كلُّ من جالسَه ... من جليسٍ ناطقٍ أو مستمعْ
وإذا لم يبصرِ النّحوَ الفتى ... هاب أنْ ينطقَ جُبْناً وانقمعْ
يقرأ القرآنَ لا يعرفُ ما ... فعلَ الإعرابُ فيه وصنعْ
يخفضُ الصّوتَ إذا يقرؤه ... وهو لا علمَ له فيما اتّبعْ
والّذي يقرؤه عِلْماً به ... إنْ عراهُ الشّكُّ في الحرفِ رجعْ
ناظراً فيه وفي إعرابِهِ ... فإذا ما عرف الحقَّ صدعْ
أهُما فيه سواءٌ عندَكم ... ليستِ السّنّةُ فينا كالبِدعْ
وكذاك الجهلُ والعلمُ فخذْ ... منه ما شئتَ وما شئتَ فَدَعْ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان، قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه، وهجا أصحابه فقال[1]:

قد كان أخذهمُ في النّحوِ يعجبني ... حتّى تعاطَوا كلام الزّنج والرّومِ
لّما سمعتُ كلاماً لستُ أعرفُه ... كأنّه زجلُ الغِربانِ والبومِ
تركتُ نحوَهُمُ واللهُ يعصمُني ... من التّقحُّمِ في تلكَ الجراثيمِ

وقال عمّار الكلبي[2]:

ماذا لقيتُ من المستعْربينَ ومِنْ ... قياسِ نحوِهمُ هذا الّذي ابتدَعُوا

[1] والقصة مذكورة في كتب أخبار النحاة.

[2] عمار الكلبي: شاعر بدوي أمي كان معاصراً للمتنبي اشتهرت له قصيدة يسخر فيها من النحو وأهله.

إنْ قلتُ قافيةً بِكراً يكون لها ... معنىً يخالفُ ما قاسُوا وما صنعُوا
قالوا لحنْتَ فهذا الحرفُ منخفِضٌ ... وذاك نصْبٌ وهذا ليس يرتفِعُ
وحرَّشوا بين عبدِ اللهِ فاجتهَدُوا ... وبين زيدٍ وطال الضَّربُ والوجَعُ
فقلتُ واحدةً فيها جوابُهمُ ... وكثرةُ القولِ بالإيجازِ تنقطِعُ
ما كلُّ قوليَ مشروحٌ لكم فخذُوا ... ما تعرفونَ وما لم تعرفُوا فدَعُوا
حتّى أعودَ إلى القومِ الّذين غُذُوا ... بما غُذِيتُ به والقولُ يتّسِعُ
فتعرفُوا منه معنَى ما أَفُوهُ به ... كأنّني وهمُ في قولِهِ شِرَعُ
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقِهِمْ ... وبين قومٍ على الإعرابِ قد طُبِعُوا
وبين قومٍ رأَوا أشيا معاينةً ... وبين قومٍ حَكَوا بعضَ الّذي سمِعُوا
إنّي رُبِيتُ بأرضٍ لا يُشَبُّ بها ... نارُ المجوسِ ولا تُبنى بها البِيَعُ
ولا يَطا القِردُ والخنزيرُ تُربتَها ... لكنْ بها الرّيمُ والرّئبالُ والضَّبُعُ[1]

وقال أبو هفان[2]:

إذا ما شئتَ أنْ تحظى ... وأنْ تلبسَ قوهيّا[1]

---

[1] وردت الأبيات في: شرح ديوان المتنبي للعكبري، والخصائص لابن جني،

[2] أبو هِفّان: عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي العبدي (ت. ٢٥٥هـ)، راوية، وعالم بالشعر والأدب، من شعراء أهل البصرة، سكن بغداد. وأخذ عن الأصمعي وغيره. وكان متهتكاً، فقيراً، يلبس ما لا يكاد يستر جسده.

وأنْ تصبحَ ذا مالٍ فكن عِلْجاً نَبيطيّا[2]

وإنْ سرّكَ أنْ تشقى وأنْ تصبحَ مَقليّا

فكن ذا نسبٍ ضخْمٍ وكن مع ذاكَ نَحْويّا[3]

باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة

قال المفضَّل الضّبّيّ[4] لأعرابي: ما البلاغة؟ قال الإيجاز في غير عجْز، والإطناب في غير خَطَل.

وقيل للأحنف: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في استحكام الحُجج، والوقوف عند ما يكتفى به.

وقال خالد بن صفوان[5] لرجل كثر كلامه: إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفّة اللسان، ولا كثرة الهذيان. ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة.

---

[1] القُوهِيُّ: نوع من الثياب البِيض. نسبة إلى القُوهَة وهي اللَّبَن الذي فيه حلاوة الحَلْب.

[2] العلج: غير العربي. والنبيطي: من النَّبَطِ: قَوْمٌ كَانُوا يَسْكُنُونَ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالأُرْدُنِ، كَانَتْ لِدَوْلَتِهِمْ حَضَارَةٌ، عَاصِمَتُهَا الْبَتْرَاءُ. وَتُطْلَقُ كَلِمَةُ أَنْبَاطٍ عَلَى أَخْلاَطِ النَّاسِ وَعَوَامِّهِمْ.

[3] نسبها الثعالبي في كتاب اللطائف إلى أبي الحسن المشادي، ونسبها الوطواط في كتاب غرر الخصائص الواضحة إلى أبي بكر الخوارزمي.

[4] المفَضَّل الضَّبِّيّ: ثقة من أكابر الكوفيين. كان لُغَوِيًّا، من علماء القرن الهجري الثاني، وأحد رواة الشعر الأعلام، علامة راوية للأخبار والآداب وأيام العرب. قدم إلى بغداد أيام هارون الرشيد، وانتقل إلى البصرة أيضا، توفي سنة ١٧٨ هـ. صاحب كتاب المفضليات، وهو أقدم مجموعة في اختيار الشعر العربي.

[5] سبقت ترجمته.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: لمحة دالّة.

وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: التقرّب من المعنى، والتباعد عن حشْو الكلام، ودلالةٌ بقليل على كثير.

سئل عبيد الله بن عتبة: ما البلاغة؟ فقال: القصد إلى عين الحُجة بتقليل اللفظ.

وقال غيره: البلاغة معرفة الفصل من الوصل، وفرق ما بين المشترك والمفرد، وفصل ما بين المقيّد والمطلق، وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل.

وقيل لبعض اليونانية: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

وقيل لرجل من الرّوم: ما البلاغة؟ حسن الاقتصاد عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة.

وقيل لرجل: ما البلاغة؟ فقال: حسن الإشارة، وإيضاح الدلالة، والبصر بالحجة، وانتهاز مواضع الفرصة.

وسأل معاوية بنُ أبي سفيان صُحاراً العبديَّ[1]: ما البلاغة عندكم؟ قال: الإيجاز. قال: ما الإيجاز؟ قال: أن تقول فلا تخطئ، وتسرع فلا تبطئ، فقال معاوية: وكذلك تقول؟ قال: أقلني يا أمير المؤمنين. أنت لا تخطئ ولا تبطئ.

---

[1] صحار العبدي: (ت ٤٠ هـ) كان خطيباً مفوَّهاً، وبليغاً لَسِناً، وأحد العلماء المشهورين بمعرفة الأنساب. وله أخبار حسنة، وصُحار أحد الصحابة الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ولم تطل صحبته لرسول الله كثيراً، لذلك كانت روايته عنه قليلة، اقتصرت على حديثين أو ثلاثة.

وقد روي مثل هذا المعنى للحَجّاج مع ابن القبعثري[1]. فالله أعلم.

وقالوا: أبلغ النّاس أحسنُهم بديهة، وأمثلُهم لفظاً.

قال خالد بن صفوان: خير الكلام ما ظرفتْ معانيه، وشرفتْ مبانيه والتذّتْ به آذانُ سامعيه.

باب مَنْ خَطَب فأُرْتِجَ عليه

قال الحُرُّ بن جابر، وكان أحد حكماء العرب – فيما أوصى به ابنه: وإياك والخُطَبَ فإنّها مشوارٌ كثير العِثار.

صعد عثمان بن عفّان رضي الله عنه على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم أُرْتِجَ عليه[2]، فقال: أمّا بعد فإنّ أولَ كلِّ مركبٍ صعب، وما كنا خطباء، وسيعلم الله، وإنَّ امرأً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لموعوظ.

---

[1] غضبان بن القبعثري الشيباني البصري. من فصحاء العرب وعلمائهم. دخل على الحجاج بن يوسف فجالسه وحادثه، فنظر إليه الحجاج مبتسماً فقال له:

سموك غضباناً وسنُّك ضاحكٌ ... لقد غلطوا إذ لم يسمُّوك ضاحكاً

فقال: أصلح الله الأمير، كان لي جَدّ يسمى الغضبان فسميت باسمه، وليس كل اسم يشاكل صاحبه. ولو كانت الأسماء تقسم على الأحساب إذاً ما نالت الأنذال منها شيئاً، فهل ترى اسمي تشاكل لحسبي؟

[2] يعني استغلق عليه الكلام ودخلته رهبة الموقف.

ويروى أن عثمان بن عفّان رضي الله عنه صعد المنبر فأُرْتِجَ عليه، فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام فعّال أحوجُ منكم إلى إمامٍ قوّال.

وروي في هذا الخبر: أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل.

وروي أنّ عثمان لما بويع، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أُرْتِجَ عليه، فقال: ولياكم وعدلنا فيكم، وعدْلُنا عليكم خيرٌ من خطبتِنا فيكم، فإن أَعِشْ يأتِكمُ الكلامُ على وجهِه.

وروي أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد، خطب الناس على منبر حمص فأُرْتِجَ عليه، فقال: يا أهل حمص! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مِصْقَع[1]، ثم نزل.

وأُرْتِجَ يوماً على عبد الملك بن مروان، فقال: نحن إلى الفضل في الرأي، أحوج منا إلى الفضل في المنطق.

وأُرْتِجَ على معن بن زائدة[2]، وهو على المنبر، فضرب بيده ثم قال: فتى حربٍ لا فتى مَنابر.

---

[1] خَطِيبٌ مِصْقَعٌ : عَالِي الصَّوْتِ، بَلِيغٌ، ذُو فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ.

[2] معن بن زائدة، كان من أمراء متولي العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة، فلما تملك آل العباس جَدَّ المنصورُ في طلبه، وجعل لمن يحمله إليه مالاً. فاضطر لشدّة الطلب إلى أن تعرّض للشمس حتى لوحت وجهه، وخَفَّفت عارضه، ولبس جبّة صوف، وركب جملاً، وخرج متوجهًا إلى البادية ليقيم بها، فاختفى معن مدة، والطلب عليه حثيث، فلما كان يوم خروج الراوندية والخراسانية على

صعد عبد الله بن عامر[1] منبر البصرة، فحصر، فشقّ ذلك عليه، فقال له زياد: أيّها الأمير! إنك إن أقمتَ عامّةَ مَنْ ترى أصابَهم أكثرُ مما أصابك.

صعد ابنٌ لعديّ بن أرطاة[2] المنبر، فقال: الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم.

أُرْتِجَ على خالد بن عبد الله القسريّ[3] على منبر الكوفة، فقال: إن هذا الكلام يجيء أحياناً ويعزُب أحياناً، ويسهل عند مجيئه سَيْبُه[4]، ويعسر عند

المنصور، وحمي القتال، وحار المنصور في أمره، ظهر معن، وقاتل الراوندية فكان النصر على يده، وهو مقنع في الحديد، فقال المنصور: ويحك، من تكون؟ فكشف لثامه، وقال: أنا طلبتك معن. فسر به، وقدمه وعظمه، ثم ولاه اليمن وغيرها. ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد.

[1] عبد الله بن عامر بن كريز صحابي جليل فتح جميع إقليم خراسان وكان واليا في عهد عثمان حتى عزله معاوية وهو شريفٌ في قومه بارٌ بهم جوادٌ كريمٌ من أجود رجال قريش والعرب. وهو المسمى بكريم العمّات والخالات لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ في الأصل: صعد علي بن أرطأة، وهو خطأ من الناسخ. والتصويب من البيان والتبيين. وعدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي (ت ١٠٢ هـ) تابعي محدّث من رواة الحديث ويعد من الثقات من أهل دمشق وكان مِن العُقلاء الشُجعان، وقد روى له الْبُخَارِي، ولاه عمر بن عبد العزيز على البصرة عام ٩٩ هـ واستمر عليها حتى قامت فتنة يزيد بن المهلب في العراق حيثُ قتله معاوية بن يزيد بن المهلب. والده هو الصحابي أرطاة الفزاري وأخوه زيد بن أرطاة الفزاري.

[3] خالد بن عبد الله القسري البجلي، قائد أموي سكن دمشق ايام الأمويين، وقد تباينت أقوال المراجع بشأن سيرته، فمنهم من ذمه وشتمه، ومنهم من مدحه وبجله. والأكثرون على ذمه لبغي فيه، حتى أنه هلك بسبب ذلك، إذ قتله الخليفة الأموي.

[4] كلمة (سيبه) ساقطة من الأصل، وأثبتها من العقد الفريد.

عزوبه طلبُه، وربما طُلب فأبى، وكوبر فعصى، فالتأنّي لمجيئه أيسرُ من التعاطي لأَبِيِّه، وهو يخلج من الجريء جنانَه، ويقطع من الذّرِب لسانَه، فلا ينظره القول إذا اتسع، ولا يكسره النطق إذا امتنع، وسأعود فأقول إن شاء الله.

خطب رجل من الأزد، أقامه زيادٌ للخطبة على منبر البصرة، فلما رقى المنبر، وقال الحمد لله، أُرْتِجَ عليه، فقال: قد والله هممتُ ألاّ أحضر اليوم، فقالت لي امرأتي: نشدتكَ اللهَ إن تركت الجمعة وفضلها، فأطعتها، فوقفت هذا الموقف، فاشهدوا أنها طالق. فقالوا له: انزلْ قبَّحكَ الله. وأُنزِل إنزالاً عنيفاً. وقد قيل: إن هذه القصة لوازع اليشكري، وفي ذلك قال الشاعر[1]:

وما ضرّني ألاّ أقومَ لخُطبةٍ وما رغبتي في مثلِ ما قال وازعُ

وذكر القهرميّ عن أبيه قال: قام القُلاخُ بنُ حَزْن[2] يوم عيد خطيباً، فقال: الحمد لله الذي خلق السّموات والأرض في ستّة أشهر. فقيل له: إنّما خلقها في ستة أيام، فقال: أقيلوني، فوالله لقد ظننت أنّي أقللت، وكنت أريد أن أقول في ستّ سنين.

---

[1] انظر البيان والتبيين للجاحظ.

[2] القُلَاخُ بْنُ حَزْنِ بْنُ ضباب المِنْقَرِيُّ، أو هو القُلَاخُ بْنُ حَزْنِ بْنُ جَنَابٍ بْنُ جَنْدَلِ بْنُ مِنْقَرِ بْنُ عُبَيْدٍ. له ديوان مفرد، وهو راجز

صعد رَوْح بن حاتم[1] المنبر، فلما رآهم قد فتحوا أسماعَهم وشقّوا أبصارَهم، قال: نكِّسوا رءوسكم وغضُّوا أبصاركم، فإنّ أول كلِّ مركب صعْب، وإذا يسَّر الله فتْح قفْل يُسِّر.

خطب مصعب بن حيّان خطبة نكاحٍ فحصر، فقال لقّنوا موتاكم شهادة ألاّ إله إلا الله، فقالت أمّ الجارية: عجلّ الله موتك، ألهذا دعوناك؟!

قيل لرجل من الوجوه: قم فاصعد المنبر فتكلم، فقام، فلّما صعد المنبر حصر، فقال: الحمد لله الذي يرزق هؤلاء. وبقي ساكتاً فأنزلوه وأصعدوا آخر، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه، وقعت عينه على رجلٍ أصلع وحصر، فقال اللهم العن هذه الصّلعة.

صعد عتّاب بن ورقاء[2] منبر أصبهان فحصر، فقال: والله لا أجمع عليكم عِيّاً وبخلاً، ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهي له وثمنها عليّ. وقد روي أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر فحمد الله ثم أُرْتِجَ عليه، فجعل يقول: أمّا بعد أمّا

---

[1] روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: والٍ وحاكم إسلامي ولي لخمسة من الخلفاء: أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدي والهادي وهارون الرشيد.

[2] عتاب بن ورقاء: من بني رياح ، يربوعي ، تميمي ، من أهل الكوفة ، وكان من أجود العرب، استخلفه الحجّاج بن يوسف الثقفيّ على إمارة الكوفة سنة (٧٧) للهجرة وأمره أن يذهب إلى محاربة شبيب الخارجيّ.

بعد ... ، وقبالة وجهه شيخ أصلع فقال: أما بعد يا أصلع، فوالله ما غلّطني غيرك، عليَّ به، فأتي به فضربه أسواطاً.

وصعد آخر المنبر فقال: إن الله لا يرضى لعباده المعاصي، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقةً لا تساوي مائتين وخمسين درهماً، فسُمّي مُقَوِّمَ الناقة.

وهذا هو عبد الله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة.

ذكر عمرو بن شبة، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة، قال: ثم عزل ابن الزّبير عبيدة بن الزبير، واستعمل عبد الله بن أبي ثورٍ حليف بني عبد مناف، فلّقبه أهل المدينة مقوّم ناقةِ الله، وغلت الأسعار فتشاءموا به، فعزله ابن الزبير.

صعد أعرابيٌّ المنبر فقال: أقول لكم ما قال العبد الصّالح: "مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ"، فقالوا له: هذا فرعون. فقال: قد والله أحسن القول.

قال بزرجهمر: هيبة الزَّلل تورث حصراً، وهيبة العاقبة تورث جبناً.

باب حمد الصّمت وذمِّ المنطق

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من صمت نجا"[1].

وروينا عن عقبة بن عامرٍ، أنه قال: يا رسول الله فيم النّجاة؟ فقال: "يا عقبة أمسك عليك لسانَك، وليسعْكَ بيتُك، وابْكِ على خطيئتِك"[1].

[1] صححه الألباني في صحيح الترغيب. وحسّنه الأرناؤوط.

وروي أنه من كلام لقمان والله أعلم.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمُتْ"[٢].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ويلٌ لمن يحدِّث الناسَ فيكذبَ ليضحكَهم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له"[٣].

وعن عيسى عليه السلام، أنه قال: "لا تُكثروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ اللهِ فتَقْتَنوا قلوبَكم".

وبلغَنا أنَّ داودَ عليه السلامُ لقيَ لقمانَ بعدما كبرتْ سِنُّه، فقال: ما بقي من عقلِك؟ فقال: لا أنطقُ فيما لا يعْنيني، ولا أتكلَّف ما كُفِيتُه.

وقال ابن مسعود: أُنْذرُكم فضولَ الكلام.

وعن ابن مسعود وسلمانٍ الفارسيّ، قالا: أكثرُ النّاسِ وقوفاً يومَ القيامةِ أكثرُهم خوضاً في الباطل.

وعن عطاء: فضولُ الكلامِ ما عدا تلاوة القرآنِ، والقولُ بالسُّنة عند الحاجة، والأمر بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، وأن تنطقَ في أمر لا بدَّ لك منه في معيشتِك، أما يستحي أحدُكم أنْ لو نُشِرتْ عليه صحيفتُه التي

---

[١] حسّنه الترمذي، والأرنا ؤوط، وصححه النووي، والألباني في صحيح الترمذي.

[٢] رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

[٣] أخرجه أبو داوود والحاكم والطبراني في الكبير والنسائي في الكبرى والبيهقي في الكبرى والترمذي وحسنه.

أملاها صدرَ نهارِه أنْ يرى أكثرَ ما فيها ليس من أمرِ دينِه ولا دنياه، ثم تلا: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ) و (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ).

وعنه[1] عليه السلام أنه قال: "البِرُّ ثلاثةٌ: المنطِق والنظَر والصَّمت، فمن كان منطِقه في غيرِ ذكرٍ فقد لغا، ومن كان نظرُه في غير اعتبارٍ فقد سها، ومن كان صمته في غير تفكّر فقد لها".

قال بعض الشعراء[2]:

لستُ ممّن ليس يدري ما هوانٌ مِنْ كرامَهْ
إنّ للنُّصحِ وللغـ ـشِّ على العَينِ علامَهْ
ليس يخفى الحبُّ والبغـ ـضُ وإن رُمْتَ اكتتامَه
ليس في أخذِكَ بالفضـ ـلِ وبالحِلمِ نَدامَهْ
وجوابُ الجاهلِ الصَّمـ ـتُ وفي الصَّمتِ سلامَهْ

وعن الأصمعيّ قال، قال أعرابيّ: السّكوت صيانةٌ للّسان وسترٌ للعِيّ.

وقال أعرابيّ في رجل رماه بالعِيّ: رأيتُ عثراتِ النّاسِ في أرجلِهم، وعثرةُ فلان بينَ فكَّيه.

---

[1] يعني المسيح عليه السلام.

[2] جاء في كتاب اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف للأصبهاني المديني عن جمهور بن حيدر القرشي قال: أنشدني والدي قال: أنشدني محمد بن معن: وذكر الأبيات.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إن الرَّجل ليتكلمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ ما يظنُّ أنها تبلغُ ما بلغتْ، يكتبُ اللهُ بها سخطَه إلى يومِ القيامة"[1].

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "إنَّ اللهَ يكرهُ لكم قيل وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال"[2].

وذكر الأصمعيّ قال، قال أعرابيٌ: الكلمة أسيرةٌ في وَثاق الرَّجل، فإذا تكلّم بها كان أسيراً في وَثاقها.

قيل لبكرِ بنِ عبدِ اللهِ المزَنيّ: إنكَ تطيلُ الصمتَ؟ فقال: إن لساني سَبُعٌ، إن تركته أكلني.

وأنشد الخشنيّ[3]:

لسانُ الفتى سَبعٌ عليه مراقِبٌ فإن لم يَزَعْ من غربِه فهو آكلُهْ

وقال الراجز[4]:

القولُ لا تملكُهُ إذا نما كالسَّهمِ لا يُرجِعه رامٍ رمى

وقال آخر[1]:

---

[1] رواه البخاري في الصحيح.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] البيت في لباب الآداب لأسامة بن منقذ مع بيت آخر. وقد نسبه المرحوم الأستاذ حفني محقق المطبوعة إلى بكر بن عبد الله المزني اعتماداً على رواية اللباب التي لا تشعر بهذه النسبة.

[4] في البيان والتبيين من غير نسبة.

فداريتُه[٢] بالحِلمِ والمرءُ قادرٌ على سهمِهِ ما دام في كفِّهِ السَّهمُ

قال هبيرة بن أبي وهب[٣]:

وإنَّ مقالَ المرءِ في غيرِ كنْهِهِ لكالنَّبلِ تهوي ليس فيها نصالُها[٤]

قال أبو العتاهية: مَنْ لزم الصَّمتَ نجا، ومن قال بالخير غَنِم.

اجتمع أربعةُ حكماء، فقال أحدُهم: أنا على ردِّ ما لم أقلْ أقدرُ مني على ردّ ما قلت، وقال الآخر: لأنْ أندمَ على ما لم أقلْ أَحَبُّ إليّ مِنْ أنْ أندمَ على ما قلت، وقال الثالث: إذا تكلمتُ بالكلمةِ مَلَكَتْني، فإذا لم أتكلمْ بها ملكْتُها، وقال الرابع: عجبتُ ممن يتكلمُ بالكلمة، إن ذُكِرتْ عنه ضرَّته، وإن لم تُذْكر عنه لم تنفعْه.

قال طرفة بن العبد[٥]:

وإنّ لسانَ المرءِ، ما لم تكن له حصاةٌ[١]، على عوراتِهِ لدليلُ

---

[١] هو معن بن أوس المزني، في قصيدته التي مطلعها: (وذي رَحِمٍ قَلَّمتُ أظفارَ ضِغْنِه بحلميَ عنه وهو ليس له حِلمُ) لباب الآداب لأسامة بن منقذ.

[٢] في الأصل المطبوع: فداويته. والتصويب من العقد الفريد.

[٣] كان من رجال قريش المعدودين شديدي العداوة لله ورسوله وبقي على كفره حتّى إذا كان يوم فتح مكّة لم يحتمل الهزيمة فهرب إلى نجران ومات هناك.

[٤] انظر: نسب قريش للزبيري، والبيان والتبيين للجاحظ، والاستيعاب لابن عبد البر. وقد نسب البيت أَبُو العَلاء المعَرِّي في كتاب اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي إلى الفرزدق، ولم أجده في ديوانه.

[٥] في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: لِهندٍ، بِجَرّانِ الشّريفِ, طُلولُ ... تَلوحُ، وأدنى عهدِهِنّ مُحِيلُ

وقال منصور الفقيه:

عليكَ السُّكوتَ فإنْ لم يكن من القولِ بدٌّ فقلْ أحسَنَهْ
فربَّتما فارَقَتْ بالّذي تقولُ أماكنَها الألسِنةْ

وقال آخر[٢]:

أيُّها المرءُ لا تقولنَّ قولاً لستَ تَدري ماذا يجيئُكَ منْهُ
واخزُنِ القولَ إنَّ الصَّمتَ حُكْمٌ وإذا أنتَ قلتَ قولاً فزِنْهُ
وإذا النَّاسُ أكثروا في حديثٍ ليس ممّا يزينُهم فالْهُ عنْهُ

وقال أُحَيحة بن الجُلاح[٣]:

الصَّمتُ أكرم بالفتى ما لم يكن عِيٌّ يَشينُهْ
والقولُ ذو خَطَلٍ إذا ما لم يكن لُبٌّ يُعينُهْ[٤]

قال ابن مِقْسَم[١]: سمعت جَحْظة يقول: سمعت المأمون يقول: السخافة كثرةُ الكلام وصحبةُ الأنذال.

---

[١] الحصاة: العقل.

[٢] صرح ابن منظور في لسان العرب بأنه عبد الله بن معاوية الطالبي من ولد ذي الجناحين.

[٣] أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأوسي، شاعر عربي قديم من دهاة العرب وشجعانهم. كان سيد يثرب وكان له حصن فيها سماه المستظل وحصن في ظاهرها سماه الضحيان، ومزارع وبساتين ومال وفير وكان سيد الأوس في الجاهلية.

[٤] انظر: البيان والتبيين، ولباب الآداب، والفاضل للمبرد.

أنشد ابنُ المبارك[٢] أخاً له كان يصحبه:

واغتنمْ ركعتينِ زُلفى إلى اللـ ـهِ إذا كنتَ فارغاً مُستريحا
وإذا ما هممْتَ بالمنطقِ البا طلِ فاجعلْ مكانَه تسبيحا
إنَّ بعضَ السكوتِ خيرٌ من النطْـ ـقِ وإنْ كنتَ بالكلامِ فصيحا[٣]

وقال أبو العتاهية[٤]:

ألا إنَّ بعدَ الذُّخْرِ ذُخْراً تُنيلُهُ وشرُّ كلامِ القائلينَ فضولُهُ
عليكَ بما يَعْنيكَ مِنْ كلِّ ما ترى وبالصَّمتِ إلاّ عن جميلٍ تقولُهُ

وله:

وحسبُكَ مَّمن إنْ نوى الخيرَ قالَهُ وإنْ قال خيراً لم يكذِّبه فعلُهُ

كان يقال: العافية عشرة أجزاء، تسعةٌ منها في الصمت، وجزء في الهرب من النّاس.

---

[١] محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم، أبي بكر، البغدادي، المقرئ، العطّار، ولد سنة: (٢٦٥هـ)، سمع من: ثعلب، وأبي عليّ بن شاذان، كان ثقة، وكان من أحفظ الناس لنحو الكوفيّين، وأعرفهم بالقراءات.

[٢] عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ هـ-١٨١ هـ) عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية. من كتبه: الزهد والرقائق وكتاب الجهاد.

[٣] رجح الذهبي في سير أعلام النبلاء أن الأبيات لحميد النحوي، وبذا جزم ابن منظور في لسان العرب فجاءت عبارته على النحو الآتي: كان عبد الله بن المبارك كثيراً ما كان يتمثل بأبيات حميد النحوي... الأبيات.

[٤] انظر: المجالسة وجواهر العلم للدِّينَوري.

كان يقال: من طوَّل صمتَه، اجتلبَ مِنَ الهيبةِ ما ينفعُه، ومن الوَحشة ما لا يضرُّه.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنَّ من شرار النَّاس الذين يُكرَمون اتّقاءَ ألسنتِهم"[1].

وقال الشاعر[2]:

صَمَتُّ على أشياءَ لو شئتُ قلتُها ولو قلتُها لم أُبْقِ للصُّلحِ مَوْضِعا

وقال منصور الفقيه[3]:

خَرِسٌ إذا سَألوا وإنْ قالوا: عَيِيٌّ أو جبانْ

فالعِيُّ ليس بقاتلٍ ولربّما قَتَلَ اللِّسانْ

كان يقال: اخزُن لسانَك كما تخزُن مالَكَ.

قال امرؤ القيس[4]:

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانَهُ فليس على شيءٍ سواهُ بخزَّانِ

وقال آخر:

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

[2] انظر: الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي، ولم ينسبهما. وقد نسبهما ابن الأبار في كتاب الحلة السيراء إلى عمرو بن العاص. والصواب ما قاله أسامة بن منقذ في لباب الآداب أن عمرو بن العاص إنما تمثل بهما. وكذا قال ابن خلكان في وفيات الأعيان.

[3] انظر الاستذكار لابن عبد البر.

[4] انظر: ديوانه، وقواعد الشعر لثعلب.

لعمرُكَ إنَّ صمتَكَ ألفَ عامٍ لأصلَحُ من كلامِكِ بالفضولِ

فأمسكْ أو ترى للقولِ وجهاً يبينُ صوابُه لذوي العقولِ

روينا أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: هإنَّذا أوردني الموارد.

وقال ابن مسعود رحمه الله: إنْ كان الشُّؤم ففي اللّسان، ووالله ما على وجه الأرض شيءٌ أحقّ بطول سَجْن من اللسان.

أخذه الشاعر[1] فقال:

وما شيءٌ إذا فكَّرتَ فيهِ أحقُّ بطولِ سَجْنٍ من لسانِ

كان يقال اللّسان سَبُعٌ عقور.

قال الشاعر[2]:

رأيتُ اللسانَ على أهلِهِ إذا ساسَه الجهلُ لَيْثاً مُغيرا

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "وهل يكبُّ النّاسَ في النّار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم"[3].

---

[1] البيت نسبه ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى الحسين بن محمد بن الحسين بن حيّ التجيبي القرطبي.

[2] صرح ابن عبد البر في الاستذكار بأن البيت لامرئ القيس، ولم أعثر عليه في الديوان. ونسبه آخرون إلى كعب بن معدان الأشقري الشاعر الفارس الذي عده الفرزدق من الأربعة شعراء الإسلام وقال: شعراء الإسلام أربعة: أنا، وجرير، وكعب بن معدان الأشقري، والأخطل.

[3] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وابن ماجه وأحمد والنسائي.

قال الله عزّ وجل: (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ), وقال: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ).

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "إن الله عند لسانِ كلِّ قائلٍ، فلينظر كلُّ امرئ ما يقول"[1].

قال عمَّار الكلبي[2]:

وقلِ الحقَّ وإلاّ فاصمُتَنْ إنَّه من لزمَ الصَّمتَ سَلِمْ[3]

إنّ طولَ الصّمتِ زينٌ للفتى مِنْ مقالٍ فيه عِيٌ وبَكَمْ

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "رحم الله امرءاً أمسك فضل لسانه، وبذل فضل ماله، وعلم أن كلامه محصيٌّ عليه"[4].

قال الأصبحيُّ: من كثر كلامه كثرت خطاياه.

وقال أبو الدَّرداء: من فقْهِ الرَّجل قلَّة كلامِه فيما لا يَعْنيه.

وقال مالك بن دينار: لو كانت الصُّحف من عندنا، لأقللنا الكلام.

قال الشاعر[1]:

---

[1] أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد والقضاعي في مسند الشهاب وأبو نعيم في الحلية وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في الشعب. وهو ضعيف؛ لأنه منقطع.

[2] عمار الكلبي: شاعر بدوي أمي كان معاصراً للمتنبي اشتهرت له قصيدة يسخر فيها من النحو.

[3] وانظر أيضاً أدب المجالسة للمصنف.

[4] قال الألباني: لا أصل له.

في نَبْوَةِ الدَّهرِ لي عُذْرٌ فلا تَلُمِ مَنْ أقعدَتْه صروفُ الدّهرِ لم يَقُمِ

حصرٌ يقصِّر بي عن كلِّ مرتبةٍ وما تقصِّر عن نيلٍ لها هِمَمي

إن عابني عائبٌ بالصمتِ قلتُ له حبسُ الفتى نطقَه خيرٌ من النَّدمِ

وقال مُعَقِّر بن حِمارٍ البارقي[٢]:

الشِّعر لبُّ المرءِ يعرضُهُ والقولُ مثلُ مواقعِ النَّبلِ[٣]

وقال آخر[٤]:

والقولُ ينفذُ ما لا تنفذُ الإبرُ

لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت، أطال الصمت، فقيل له: ألا تتكلم؟ فقال: الكلام صيَّرني في بطن الحوت.

---

[١] نسبه ابن المعتز في كتاب البديع إلى عبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلبي.

[٢] عمرو بن سفيان البارقي (ق. هـ) المشهور بـ معقر بن أوس. شاعر من قبيلة بارق أحد شعراء العصر الجاهلي، من شعراء الجود المقلين وفارس من فرسان الجاهلية. تغنى في شعره بأمجاد قبيلته. ويستشهد كثير من كتب اللغة بشعر معقر لأهميته اللغوية. شارك مع قومه في يوم جبلة وكان حليف بني نمير بن عامر. وله شعر في ذلك اليوم وفي غيره.

[٣] ورد البيت عند الجاحظ في (الحيوان) منسوباً إلى معقر بن حمار، ونسبه المرزباني في معجم الشعراء إلى المتوكل الليثي بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط، وبذا قال البلاذري في أنساب الأشراف.

[٤] هو الأخطل. وبيته كاملاً: حتى استكانوا وهُم مني على مضضٍ والقولُ ينفذُ ما لا تنفذُ الإبرُ

قال عمر بن عبد العزيز: المحظوظ التَّقّي يُلجم لسانه. أخذه الحسن بن هانئ[1] فقال:

إنَّما العاقلُ من ألـ ـجمَ فاهُ بلجام

مُتْ بداءِ الصَّمتِ خيرٌ لكَ من داءِ الكلام

سئل عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – عن قتلة عثمان، فقال: تلك دماء كفّ الله عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني.

وقال يزيد بن أبي خبيب: المتكلم ينتظر اللعنة، والمتصنِّت ينتظر الرحمة. ويقال: شرُّ ما طَبَع الله عليه المرءَ خُلُق دنيّ، ولسان بذيّ.

وقالوا البذاء من النفاق.

وقال ابن القاسم: سمعتُ مالكاً يقول: لا خير في كثرة الكلام، واعتبر ذلك بالنساء والصبيان. إنما هم أبداً يتكلمون، لا يصمتون.

وقال الحسن: لسانُ العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلَّم فكَّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلبُ الجاهلِ من وراء لسانه.

قال نصر بن أحمد[2]:

---

[1] الشهير بأبي نواس.

[2] نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون البصري. شاعر غزل، علت له شهرة. يعرف بالخبزأرزي (أو الخبز رزي) وكان أمياً، يخبز (خبز الأرز) بمربد البصرة في دكان. وينشد أشعاره في الغزل، والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من حاله. وكان (ابن لنكك) الشاعر ينتاب دكانه ليسمع شعره، واعتنى

لسانُ الفتى حتفُ الفتى حين يجهلُ وكلُّ امرئ ما بين فكَّيه مقتَلُ
وكم فاتحٍ أبوابَ شرٍّ لنفسِهِ إذا لم يكن قُفلٌ على فيه مقفَّلُ
إذا ما لسانُ المرءِ أكثرَ هذرَهُ فذاك لسانٌ بالبلاءِ موكَّلُ
إذا شئتَ أن تحيا سعيداً مسلَّماً فدبِّرْ وميِّزْ ما تقولُ وتفعلُ[1]

قال صالح بن جناح[2]:

أقللْ كلامَكَ واستعذْ من شرِّهِ إنَّ البلاءَ ببعضِه مقرونُ
واحفظْ لسانَكَ واحتفِظْ من غيِّهِ حتّى يكون كأنَّه مسجونُ
وكِّلْ فؤادَكَ باللِّسانِ وقلْ له إنّ الكلامَ عليكما موزونُ
فزِناهُ، ولْيَكُ محكماً في قلّةٍ إنّ البلاغةَ في القليلِ تكونُ[3]

به وجمع له (ديواناً) وانتقل صاحب الترجمة إلى بغداد، فسكنها مدة، وقرئ عليه ديوانه. وأخباره كثيرة طريفة.

[1] انظر كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي، المحسن بن علي.

[2] صالح بن جناح اللخمي شاعر دمشقي، أحد الحكماء من القرن الثاني من الهجرة إبان الدولة العباسية وقد تتلمذ الجاحظ على يده، وقد حكى عنه الجاحظ قال "هو (أبو عبد الله الحاكم) ممن أدرك الأتباع بلا شك وكلامه مستفاد في الحكمة وقد أخذ بنيسابورز" ، له كتاب معروف هو كتاب الأدب والمروءة.

[3] ذكرها ابن حبان في كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، والراغب الأصفهاني في كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بلا نسبة. ونسبها ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله إلى عبد الله بن طاهر.

قال اللّاحقي[1]:

اخْفضِ الصَّوتَ إن نطقْتَ بليلٍ والتفتْ بالنَّهارِ قبلَ الكلامِ[2]

وقال آخر[3]:

أرى الصَّمتَ خيراً من كلامٍ بمأثمٍ فكن صامتاً تسلمْ وإن قلتَ فاعدلِ
ولا تكُ في حقِّ الإخاء مفرِّطاً وإن أنتَ أبغضتَ البغيضَ فأجملِ
ولا تعجلنْ يوماً بشرٍّ تريدُهُ وإذ ما همْتَ الدَّهرَ بالخيرِ فاعجَلِ
ألا إنَّ تقوى اللهِ خيرُ مغبَّةٍ وأفضلُ زادِ الظَّاعِنِ المتحمِّلِ

وقال آخر[4]:

عوِّدْ لسانَكَ قولَ الصِّدقِ تحظَ بِهِ إنّ اللِّسانَ لما عوّدتَ معتادُ

---

[1] أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي اللاحقي (ت ٢٠٠ هـ)؛ شاعر مكثر من أهل البصرة نسب إلى جده، انتقل أبان إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، فأكثر من مدحهم، وخص بالفضل بن يحيى فقلده ديوان الشعر، ونظم لهم "كليلة ودمنة" شعراً في ١٤٠٠٠ بي . كانت تقدم إليه المدائح ليقدر جوائزها واتصل عن طريقهم بالرشيد، فكان من شعرائه. كان هجّاء للشعراء، هجاه أبو نواس وغيره، وكان مقلاً في الغزل.

[2] ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار، والجاحظ في البيان والتبيين، والراغب الأصفهاني في كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بغير نسبة.

[3] نسبت إلى صالح بن عبد القدوس، وهي في ديوانه. ونسبها أبو بكر الخُوَارِزْمي في كتاب الأمثال المولدة إلى الأحوص. وأوردها ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء بغير نسبة.

[4] البيت بغير نسبة في: لباب الآداب، وزهر الأكم، وأدب الدنيا والدين.

وقال الحكماء: إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام، وفضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هُجْنة.

وقال عمرو بن العاص: زلَّة الرِّجْلِ عَظْمٌ يُجبَر، وزلَّة اللسان لا تُبقي ولا تَذَر.

وقال أعرابي[1]:

عثراتُ اللِّسانِ لا تستقالُ وبأيدي الرِّجالِ تجزى الرِّجالُ

فاجعلِ العقلَ للِّسانِ عِقالاً فشرادُ اللِّسانِ داءٌ عُضالُ

إنَّ ذمَّ اللِّسانِ مُبقٍ على العِر ضِ وبالقولِ تُستبانُ الفعالُ

وقال غيره[2]:

---

[1] وردت في أدب المجالسة لابن عبد البر، وإنباه الرواة للقفطي، والدر الفريد لمحمد بن أيدمر، بغير نسبة.

[2] البيتان في الديوان المنسوب لعلي بن أبي طالب. وقد روي عن الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمْتُ إِلَى الرَّشِيدِ لأُحَدِّثَ أَوْلادَهُ بِالأَخْبَارِ الَّتِي صَنَّفْتُهَا, أَعْجَلَ الْمُعْتَصِمُ فِي الْقَصْرِ فَعَثُرَ، فَكَادَتْ إِبْهَامُهُ تَنْقَطِعُ، فَقَامَ وَهُوَ يَقُولُ: يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانِهِ وليس يموتُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ
فعثرتُهُ مِن فيه ترمي برأسِهِ وعثرتُهُ بالرِّجلِ تبرا على مَهْلِ

وقال منصور الفقيه:

واخرسْ إذا خفيتْ أمو رُ الحقِّ عنكَ عنِ الإجابةْ
فأقلُّ ما يُجزى الفتى بسكوتِهِ عِزُّ المهابةْ

وقال محمود الوراق[1]:

ولفظُكَ حين تلفظُ في جميعٍ ولا تكذبْ مقدّمةٌ لفعلِكْ
فزِنْهُ إنْ أردتَ القولَ وزناً وإلاَّ هَدَّ من أركانِ نُبلِكْ

وقال آخر[2]:

ومن لا يملكِ الشَّفتينِ يسخو بسوءِ اللَّفظِ من قيلٍ وقالِ

الرِّجْلِ فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ (انظر: كتاب معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي).

[1] محمود بن حسن الوراق: شاعر عباسي مشهور من شعراء القرنين الثاني والثالث المرموقين. وقد ذكر أنه كان مولى لبني زهرة وهو شاعر من بغداد لذلك علق به لقب البغدادي. وأكثر شعره في المواعظ والحكم وقد اشتهر بلقبين أحدها الوراق والآخر النخاس فأما الوراق فهو الناسخ بالأجرة ولعلها مهنة عمل بها. وأما اللقب الآخر النخاس فقد جاء من المهنة كذلك قال البغدادي: وقد كان نخاساً يبيع الرقيق وكان له رقيق.

[2] نسبه أبو تمام في الحماسة إلى بعض المدنيين.

كان يونس بن عبد الأعلى ينشد هذه الأبيات[1]:

قد أفلح السَّاكتُ الصَّموتُ كلامُ واعي الكلامِ قوتُ

ما كلُّ قولٍ له جوابٌ جوابُ ما تكرهُ السكوتُ

وأَعجبُ الأمرِ من ظلومٍ مستيقنٍ أنّه يموتُ

بابٌ من مزدوِج الكلام

الزوجةُ أحدُ الكاسِبَيْن[2].

وقيل إصلاح المال أحد الكاسِبَيْن.

قلَّة العيال أحد اليسارَيْن.

القلم أحد اللِّسانَيْن.

الشيب أحد العسرَيْن.

اليأس أحد النُّجحَيْن.

ويقال: تعجيل اليأس أحد الظَّفَرَيْن.

حسن التَّقدير أحد الكسبَيْن.

اللَّبن أحد الجُبنَيْن.

كثرة العيال أحد الفقرَيْن.

---

[1] نسبها الذهبي في تاريخ الإسلام إلى محمد بن أبي العتاهية. ونسبها السيوطي في حسن الصمت إلى أبي العتاهية نفسه.

[2] يعني أن المرأة الصالحة في بيتها بركة وزيادة في الرزق.

المال أحد الجاهَيْن.

الدُّعاء للسَّائل أحد العطاءَيْن.

وقيل: الرّد على السائل بالدّعاء إحدى الصَّدقتَيْن.

العَجيزة أحد الوجهَيْن.

وقيل: الشَّعر أحد الوجهَيْن.

الشَّحم إحدى الحسنيَيْن.

البياض أحد الجمالَيْن.

المرق أحد اللّحمَيْن.

مَلْكُ العَجين أحدُ الرَّيعَيْن.

قال عمر بن الخطاب: املُكوا العجين إنه أحد الرَّيعَيْن[1].

المبلِّغ أحد الشَّاتمَيْن.

السامع للغِيبة أحد المغتابَيْن.

الرَّاوية للهجاء أحد الهجَّائَيْن.

---

[1] قال ابن منظور في لسان العرب: كل زيادة رَيْع. وراع أي صارت له زيادة ريع في العجن والخبز. وفي حديث عمر: املكوا العجين فإنه أحد الرَّيعين، قال: هو من الزيادة والنماء على الأصل، يريد زيادة الدقيق عند الطحن وفضله على كيل الحنطة وعند الخبز على الدقيق، والملك والإملاك إحكام العجين وإجادته، وقيل: معنى حديث عمر أي أنعموا عجنَه فإن إنعامكم إياه أحد الريعين.

فصلٌ منه: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لرجل أوصاه: "حافظ على العصرَيْن"[1].

والعصران: الصبح والظهر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى البردَيْن دخل الجنة"[2].

البردان: الغداة والعشي.

وقال بعضهم: الأبردان: الغداة والعشيّ.

الأيهمان: السّيل والحريق.

الأحمران: الذَّهب والزَّعفران.

الأسودان: التَّمر والماء.

الأطيبان: الأكل والجماع.

الأجوفان:الفم والفرج.

الأصغران: القلب واللسان.

الأكبران: الهمَّة واللُّب.

الأصمعان: الفهم الذكي والرأي الحازم.

الجديدان: اللَّيل والنَّهار، وكذلك الملَوان، وكذلك العصْران.

قال حميد بن ثور الهلالي[1]:

---

[1] صححه الألباني وابن حجر.

[2] رواه البخاري ومسلم في الصحيح.

ولن يلبثَ العصْرانِ يوماً وليلةً إذا طَلَبا أن يُدرِكا ما تَيَمَّما[2]

وقال أبو بكر بن دريد[3]:

إنَّ الجديدَيْنِ إذا ما استوليا على جديدٍ أدنياه للبلى[4]

وقال سليمان بن بطّال[5]:

وتقلُّبُ الملَوَينِ بينهما الرَّدى إنْ لم يكن هذا يجيءُ به فَذَا

العُمَران: أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – هذا قول الأكثر.

كما قالوا: المكَّتان: مكَّة والمدينة.

والقَمَران: الشمس والقمر.

---

[1] الصحابي حُمَيْد بن ثَوْر بن حزن الهلالي العامريّ (ت ٣٠ هـ) شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام. شهد معركة حنين مع المشركين، ثم أسلم بعد، وحسن إسلامه.

[2] ديوانه.

[3] أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ). من نسل ملك العرب مالك بن فهم الدوسي الأزدي، وهو عالم باللغة وشاعر وأديب عربي ومن أعظم شعراء العرب. كان يقال عنه: ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء.

[4] البيتان من قصيدته المشهورة باسم (مقصورة ابن دريد) ومطلعها: (يا ظَبيَةً أَشبَه شَيءٍ بِالمها تَرعى الخُزامى بَينَ أَشجارِ النَقا) وقيل إنه جمع فيها كل المقصور في العربية.

[5] سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، فقيه باحث، له أدب وشعر. تعلم بقرطبة، واشتهر بكتابه (المقنع) في أصول الأحكام، قالوا فيه: لا يستغني عنه الحكام. وكان من الشعراء أيضاً، ويلقب بالعين جودي، لكثرة ما كان يردد في أشعاره (يا عين جودي).

قال الفرزدق[1]:

أخذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكما لنا قمراها والنُّجومُ الطَّوالعُ

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر.

وقال أبوعبيدة[2] في قول قيس بن زهير:

جزاني الزَّهدمانِ جزاءَ سُوءٍ وكنتُ المرءَ يجزي بالكرامةْ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض، وقال أبو عبيدة: الزهدمان: زهدمٌ وكردم.

قال أبو عمر: الحجة في هذا قول الله عزّ وجلّ: (وَلِأَبَوَيْهِ) فالأبوانِ الأبُ والأمُّ.

وقد قال قتادة: العمران: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز. والأول أشهر وأكثر.

باب من الأجوبة المُسكِتة

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بضرب عنق عُقبة بن أبي مُعيط، فقال له: مَنْ لِلصِّبية يا محمد؟ قال: النَّار[3].

---

[1] انظر: الديوان، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري، وطبقات فحول الشعراء لابن سلّام الجمحي.

[2] في كتابه: غريب الحديث.

[3] حكم بصحته الحاكم، والهيثمي والألباني.

قال الأعمش: احذروا الجواب، فإن عمرو بن العاص قال لعديّ بن حاتم: متى فقئتْ عينُك يا أبا طريف؟ قال: يوم طعنتَ في استِكَ وأنتَ مُوَلٍّ يوم صِفِّين.

شهد أعرابيٌّ بشهادةٍ عند معاويةَ على شيء، فقال: كذبتَ. فقال: الكاذبُ والله مزملٌ في ثيابِك. فتبسَّم معاويةُ وقال: هذا جزاء من عَجِل.

أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيها الخمر، فقال له معاوية: أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبتُ بكَ في معرفتِه.

قال تميم بن نصر بن سيَّار لأعرابي: هل أصابتْك تخمة قط؟ قال: أمَّا من طعامِك وشرابِك فلا.

قال عبد الملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمَّة حين ملَّكتْكَ أمرَها.

قيل لبعضهم: صحبتَ الأميرَ فلاناً إلى اليَمَن، فما ولَّاك؟ قال: قَفاه.

قيل لأعرابي: صف لنا النخلة. فقال: صعبة المرتقى، بعيدة المهوى، مهولة المجتنى، رهيبة السلاح، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة الملمس، ضئيلة الظل.

دخل مَعْن بن زائدة على المنصور، فأسرع المشيَ وقارب الخطْوَ، فقال له المنصور: كبرتْ سِنُّك يا معن؟ قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال:

وإنك مع ذلك لجَلَد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقيَّة. قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

دخل عديُّ بن حاتم على معاوية، وعنده عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله: يا عديّ متى ذهبت عينُك؟ قال: يوم مثل أبوك هارباً، وضُرب على قفاه مولياً، وأنا يومئذ على الحق، وأنت وأبوك على الباطل.

قال المهديّ لجرير بن زيد: يا جرير إني لأعدُّك لأمر. قال جرير: إن الله قد أعدَّ لك منّي قلباً معقوداً بنصيحتِك، ويداً مبسوطة بطاعتِك، وسيفاً مشحوذاً على عدوِّك، إذا ما شئتَ[1].

قالت جارية ابن السَّمَّاك[2] له: ما أحسن كلامَك إلا أنك تردده. قال: أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه. قالت: فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يملُّه من فهمه.

قال الحسن لابن سيرين: تعبُر الرؤيا كأنَّك من آلِ يعقوب! فقال ابن سيرين: وأنت تفسِّر القرآنَ كأنَّك شهدتَ التنزيل.

قال رجل لعمر بن الخطاب: أهلَكَنا النَّوم: فقال: بل أهلكتْكم اليقظة.

---

[1] وتروى أيضاً ليزيد بن مزيد الشيباني مع الرشيد.

[2] محمد بن صبيح الْمُذكِّر، أبو العباس العِجْليُّ الكوفيُّ، المعروف باسم "ابن السمَّاك"، القاص الواعِظ الزاهد المشهور، من وعَّاظ القرن الهجري الثاني، والسَّمَّاك نسبة إلى بيع السمك وصيده.

مرت أَمَةٌ بسعيد بن المسيب وقد أقيم ليُضْرب[1]، فقالت: يا شيخ! لقد أُقِمتَ مقامَ الخِزي. فقال: بل من مقام الخزي فررت.

قال رجلٌ لعمرو بن العاص لأتفرغَنَّ لك. فقال: حينئذ تقع في الشغل.

لقي الحسين[2] الفرزدق في حين خروجه إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من الله.

قال رجل عند الحسن: أهلك الله الفخار. قال: إذا استوحش في الطريق.

قيل للأصمعي: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: الذي أريده لا يواتيني، والذي يواتيني لا أريده، أنا كالْمِسَنِّ أشحذُ ولا أقطعُ.

قيل لابن المقفع: مالكَ لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يواتيني لا أريده، والذي أريده لا يواتيني.

قال: ابن مناذر[3]:

---

[1] سعيد بن الْمُسَيِّبِ (١٥ – ٩٤ هـ) الملقّب بـ «عالم أهل المدينة»، وبـ «سيد التابعين» في زمانه، وأحد رواة الحديث النبوي، وأحد فقهاء المدينة السبعة. ومحنته كانت بعد أن توفي عبد العزيز بن مروان، حيث عقد عبد الملك بن مروان لابنيه الوليد وسليمان بالعهد، وكتب بالبيعة في الولايات، ودعا ولاته لأخذ البيعة من الناس. حينئذ، دعا هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة المنورة سعيد لمبايعتهما، فأبى. فضربه هشام ستين سوطًا، وطاف به المدينة، ثم سجنه،

[2] الحسين بن علي شهيد كربلاء رضي الله عنه وعن أبيه.

[3] محمد بن مُناذر الصبيري اليربوعي (ت ١٩٨هـ) شاعر عربي من العصر العباسي الأوَّل، تُنسَب إليه أشعار وأخبار كثيرة، وإلى جانب نظم الشعر كان خطيباً بارعاً، وله ميول إلى النحو واللغة.

لا تَقُلْ شِعراً ولا تَهمُمْ به وإذا ما قلتَ شِعراً فأجدْ[1]

قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال: إنك أشبه الناس بإبليس. قال: وما تُنكر أن يكون سيدُ الإنس يُشبه سيدَ الجن.

قيل لأعرابية من بني عامر: لقد أحسنتِ العزاءَ على ابنِك. قالت: إن فقدَه أيأسني من المصائب بعده.

ونعي إلى أعرابية ابنٌ لها، فقالت: لقد نعيتموه كريمَ الجَدَّين، ضحوكاً إذا أقبل، كسوباً إذا أدبر، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.

قال الأحوص للفرزدق: متى عهدُك بالزنا؟ قال: مذ ماتت العجوز أمك[2].

قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شبرمة: ثم لم يعد إليكم.

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أَبْيَنَ الشَّبَقَ في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين[3].

قال زهير[4]:

---

[1] انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني.

[2] كان أولى بالمؤلف أن ينزه كتابه عن مثل هذا.

[3] أنا أجلّ معاوية أن يقع في هذا الخطأ، وأجلّ عقيلاً أن يجيب عن ذلك، إنما هو كلام حمله الخصوم عليهما.

[4] هما تتمة بيتين: ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ... ومن لا يُكَرِّم نفسه لا يُكَرَّم

ومن لا يكرِّم نفسَه لا يكرَّمِ

ومن لا يتّقِ الشَّتمَ يُشْتَمِ

قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم[1].

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أين ترى عمك أبا لهب؟ قال: في النار، مفترشاً عمتك حمَّالة الحطب. وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس[2].

قال الرشيد لشريك القاضي: يا شريك! آيةٌ في الكتاب ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ)، فقال آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: (وكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ).

قال الرشيد لأبي الحارث جمَّير: أيسرُّك أن تخرا الغالية؟[3] قال: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: ولم والناس يتمنونها؟ قال: أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها.

ومَن يَجعلِ المعروف مِن دون عِرضِه يَفِرْهُ ومَن لا يتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ

[1] وأجيب عن ذلك بما أجبت قبله.

[2] والله هذا لا يقوله عاقل.

[3] الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يكن حقُّنا منك أن تمسك يدَك مغلولةً إلى عنقك، وتعمل لسانك في قومك.

وروي أن أبا بكر بن عياش[1] كان أبرص، وكان رجل من قريش يشرب الخمر، فقال له أبو بكر: قيل لنا إنَّ نبياً من الأنبياء بُعِثَ بحِلِّ الخمر[2]. فقال: لا أومن به حتى يُبْرِئ الأبرص.

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه، وقالوا: ما رأينا بعدَك مثلَك. فقال خيراً أم شرًّا؟ قالوا: لم نر بعدَك إلا شراً منك. قال: لكني والله ما رأيت بعدَكم شرًّا منكم، والله يا أهل الكوفة إن حبَّكم لصلف، وإن بغضكم لتلف.

قال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص: أيُّ رجل أنت لو كانت أمُّك من عز قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضتُ قبائلَ العرب على نفسي أتمنى من أيِّهم تكون أمّي في طول ليلتين، فما خطرتْ عبدُ القيس[3] على بالي.

---

[1] أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي الحنّاط، (٩٧- ١٩٣هـ) قال عنه أحمد بن حنبل: ثقة.

[2] روي أن ابن عياش قال ذلك على سبيل المداعبة.

[3] وذلك لأن المنذر بن الجارود كان من قبيلة عبد القيس.

جُعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر عن أمِّه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة، من بني عنزة، ثم أحد بنى جلّان، أصابتها رماحُ العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جُدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدتْ وأنجبتْ. فإن كان لك جُعْلٌ فخُذْه.

فاخَرَ رجل من ولد أبي البَخْتريِّ بن هشام رجلاً من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعم العاقرُ وبئس المعقور، فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه، وشدها أبي برمحه.

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من عليّ، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.

ظفر الحَجَّاج بأصحاب ابن الأشعث[1]، فجلس يضرب أعناقَهم، فأُتِيَ في آخرِهم برجلٍ من تميم، فقال له يا حجاج! لئن كنا أسأنا في الدنيا، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أفّ لهذه الجيف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي.

[1] عبد الرحمن بن محمد الكندي. كان قائداً عسكرياً أموياً من أهل الكوفة وأشرافها في البداية، ثم خرج على الأمويين فكان صاحب أعنف الثورات ضد الدولة الأموية.

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر: أساءتكَ ولايتُنا أم سرَّتك؟ قال: ساءتني لك وسرتني للمسلمين.

عاتب أعرابيٌّ أباه فقال: إن عظيم حقِّك عليَّ، لا يُذهب صغيرَ حقِّي عليك، والذي تمتُّ به إليَّ أمتُّ بمثلِه إليك، ولستُ أزعم أنّا سواء، ولكن لا يحل لك الاعتداء.

لما مات الحسن[1] أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبت ذلك عائشة وركبت بغلة وجمعت الناس، فقال لها ابن عباس: كأنك أردت أن يقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل؟! قالت: رحمكَ الله، ذاك يوم نُسي. قال: لا يومَ أذكَرُ منه على الدَّهر[2].

---

[1] الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

[2] هذا غير صحيح، فقد ذكر ابن عبد البر نفسه في الاستيعاب وابن هبة الله في تاريخ دمشق وغيرهما أن الحسن طلب من عائشة الإذن بالدفن في بيتها فوافقت ثم قال لأخيه الحسين بن علي رضي الله عنهم قد كنت طلبت إلى عائشة إذا مت أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم، وإني لا أدري لعلها كان ذلك منها حياء، فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها، فلما مات الحسن رضي الله عنه أتى الحسين رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها فطلب ذلك إليها فقالت نعم وكرامة ، وبهذا يعلم أن عائشة رضي الله عنها وافقت على الأمر، ولكن منع من دفنه في البيت اعتراض مروان على ذلك، وكان الحسن رضي الله عنه أوصى إذا منع القوم دفنه في البيت أن لا يراجعوا في الأمر، وأن يدفن في البقيع، وسعى أبوهريرة وابن عمر رضي الله عنهم في إقناع الحسين بذلك تفاديا لوقوع الفتنة بين المسلمين، هذا وليعلم أن أهم ما يتعين على المسلم الاعتناء به هو السعي في اتباع الصحابة في أعمالهم والاقتداء بهم والاستفادة من سيرهم وعدم تتبع خلافاتهم.

قيل لمعاوية بن أبي سفيان، يوم صفين: إنك تقدم حتى نقول إنك تقبل، وإنك أشجع الناس، وتتأخر حتى نقول إنك تفر، وإنك أجبن الناس. قال: أتقدم إذا كان التقدم غنماً، وأتأخر إذا كان التأخر عزماً.

سأل ابن الزُّبير معاوية حاجة فلم يقضِها، فاستعان عليه بمولاة له، فقضى حاجته، فقال له رجل: استعنت بامرأة! فقال: إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافِلِها.

اشتكى عبد الله بن صفوان ضِرسه، فأتاه رجل يعوده، وقال: ما بك؟ قال: وجع الضِّرس. فقال: أما علمتَ ما يقول إبليس؟ قال: لا. قال: يقول: دواؤه الكسر. قال:إنما يطيع إبليسَ أولياؤه.

مرض رجل من الأعراب فعاده جارُه فقال: ما تجد؟ قال: أشكو دُمَّلاً آلمني وزكاماً أضرَّ بي. فقال: أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد شيئاً من الأمراض ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة، فأنشأ الأعرابي يقول[1]:

أيحسدُني إبليسُ دائينِ أصبحا بجسمي جميعاً دُمَّلاً وزُكاما

فليتَهما كانا به وأَزيدُه رخاوةَ فحْلٍ ما يطيقُ قِياما

[1] نسبهما ابن حمدون في كتاب التذكرة الحمدونية، والزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، إلى أبي حكيمة.

قال أبو جعفر المنصور لأبي جعونة العامريِّ من أهل الشام: ألا تحمدون الله بأنا قد ولينا عليكم ورفع عنكم الطاعون؟! قال: لم يكن ليجمعكمُ اللهُ علينا والطاعون.

قيل لبعضهم: أراك تكره الغزو، وما يكرهه إلا جبان أو متَّهم؟ فقال: والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة.

عرض بعض القواد أصحابَه، فمر به رجل معه سيف رديء، فقال له: ويحك ما هذا السيف؟! أما علمت أن الرجل بسيفه؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير، إنها مأمورة. قال: هذا مما أُمِر ألا يقطع شيئاً[1].

قيل لابن سيرين: من أكل سبع رطبات على الريق سبَّحتْ في بطنِه، فقال ابن سيرين: لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج[2] إذا أُكِل أن يصليَ الوتر والتراويح.

قيل لابن السَّمَّاك في زمن يزيد بن معاوية: كيف تركتَ الناس؟ قال: مظلومٌ لا يَنْتصِف، وظالم لا يَنْتهي.

قال معاوية لرجل من أهل اليمن: ما كان أحمقَ قومَك حين قالوا: (رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) أما كان جمعُ الشمل خيراً لهم؟ فقال اليماني: قومُك أحمقُ منهم حين قالوا: (اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

---

[1] عبارة الأصل فيها نقص استكملته من غيره.

[2] اللَّوْزِينَجُ من الحَلْوى: شِبه القطائف يُؤْدَم بدُهن اللَّوز.

حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه[1].

قال رجل للرقاشي: ما يجب على المؤمن في حقِّ الله؟ قال: التعظيم له والشكر لنعمِه، قال: فما يجب عليه في حقِّ السلطان؟ قال: الطاعة والنصيحة. قال: فما يجب عليه في حقِّ نفسه؟ قال: الاجتهاد في العبادة، واجتناب الذنوب. قال: فما يجب عليه في حقِّ العامة؟ قال: كفُّ الأذى وحسن المعاشرة. قال: فما يجب عليه في حقِّ الخليط؟ قال: الوفاء بالمودة وحسن المعونة.

قال بعض الجِلّة[2] لأعرابي من بني تميم يمازحه: يا أعرابيّ! من الذي يقول:

تميمٌ ببطنِ اللُّؤمِ أهدى من القطا ولو سَلَكتْ سُبلَ المكارمِ ضلّتِ

فقال: لا أعرفه[3]. ولكن أعرف الذي يقول:

أعضّ اللهُ من يهجو تميماً ومن يروي لها أبداً هجاءا

ببطنِ عجوزةٍ وبإستِ أخرى وأدخل رأسَه من حيث جاءا

دخل طفيليٌّ دار قوم بغير إذن، فاشتدّ عليه صاحب الدار في القول، فأغلظ له الطفيلي في الجواب، وقال له: والله لئن قمت إليك لأدخلنك من

---

[1] والله إن معاوية لأعقل من أن يجلس يماري السفاء ويردون عليه.

[2] سمّاه اليغموري في كتاب نور القبس: أبا علي الحسن بن علي الحرمازي.

[3] البيت للطِّرِمّاح بن حكيم.

حيث خرجت. فقال صاحب المنزل: أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت، وأخذ بيده فأخرجه.

قال الفرزدق لكثيّر – وقد أنشد: ما أشبه شعرَك بشعري! أفكانت أمك أتت البصرة؟ فقال: لا ولكن أبي أتاها ونزل في بني دارم[1].

قال المثّقب العبديّ[2]:

وكلمةِ حاسدٍ من غيرِ جرمٍ سمعتُ فقلتُ مُرّي فانفُذيني
وعابوها عليَّ ولم تَعِبني ولم يَعْرِقْ لها يوماً جَبيني
وما من شيمتي شتمُ ابنِ عميٍّ ولا أنا مُخلِفٌ مَنْ يرتجيني
وذو الوجْهين يلقاني طَليقاً وليس إذا تغيّبَ يأتليني
بَصُرْتُ بعيبِهِ فكففْتُ عنه محافظةً على حسبي ودِيني

قال رجلٌ من بني عِجْل لأبي الرَّوحاء الشاعر، بهمذان: ممن الرجل؟ قال: من العَجَم. قال العجلي: إنما الشعر للعرب، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى يَنْزوَ على أمِّه رجل من العرب. فقال أبو الروحاء: فكل من لم يقل الشعر من العرب، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس.

---

[1] اللهم نزه أسماعنا عن الخنا وأبصارنا عن الخيانة.

[2] نسبها أسامة بن منقذ في كتاب لباب الآداب، وأبو علي القالي في كتاب الأمالي، والراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، إلى حاتم الطائي.

قال مسكين الدارمي[1]:

وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً فبهذا وافقَ الشَّنُّ الطَّبَقْ

إنما الفُحْشُ ومن يعتادُهُ كغرابِ البَيْنِ ما شاء نَعَقْ

أو حمارِ السُّوءِ إن أمسكتَهُ رَمَحَ الناسَ وإنْ جاع نَهَقْ

أو غلامِ السُّوء إنْ جوّعتَهُ سَرَقَ الجارَ وإنْ يشبعْ فَسَقْ[2]

قال رجل لشريح القاضي: لشد ما ارتفعت! فقال له شريح: هل ضرك ذلك؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك.

قيل لمزيد – وهو يحمل شيئاً تحت إبطه –: يا مزيد! ما هذا الذي تحت حضنك؟ قال: يا أحمق! ولم خبأته؟

قال الفرزدق للحسن: يا أبا سعيد إني قد هجوت إبليس، أفتسمع؟ فقال له الحسن: اسكت، فإنك على لسانه تنطق.

قيل لأعرابي: أتهمز الفارة؟ قال: إنما يهمزها السنور.

قال حمزة الكسائي: أتهمز الذيب؟ قال: لو همزته أكلني.

---

[1] مسكين الدارمي: ربيعة بن عامر التميمي. هو شاعر أموي كان من خلصاء معاوية وولده يزيد.

[2] الأبيات في: المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدِّينَوري، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري.

سأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون، فقال: ما سِنُّك؟ قال: عَظْم. قال: لم أُرِد هذا، ولكن كم تَعُدَّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأزيد. قال: لم أُرِد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء لأهلكني. فضحك المأمون. فقيل له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول؟ كم مضى من عمرك؟

لقي رجل رجلاً راكباً، فقال له: أين تنزل فقال له: حيث أضع رجلي.

وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية، فلقيه بعد النحر، فقال: كيف وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً، أراد قول الشاعر[1]:

ولو ذُبِحَ الضّبِّي بالسيفِ لم تجد من اللؤم للضَّبِّيِّ لحماً ولا دما

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدي بن الرِّقاع الشاعر، فخرجت بنت له، فقالت: ما تريدون، قالوا: نريد أباك لنخزيَه ونفضحَه. فقالت[2]:

تجمّعتمُ من كلِّ أَوْبٍ وبَلْدةٍ على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة – وكان كوفياً –: لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السِّند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان.

---

[1] انظر: التذكرة الحمدونية لابن حمدون، وأمالي المرتضى، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان.

[2] انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، والوافي بالوفيات للصفدي، والحيوان للجاحظ.

قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك. لو كنت اختنته لكان قد أتاك نصيبك.

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لحنت. فقال: الجواد يعثر. قال المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.

وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والفقر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرءاً أمر بخير. فقيل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.

سمع إياس بن معاوية – رحمه الله – يهودياً يقول: ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحدِثون. فقال له إياس بن معاوية: أو كل ما تأكله تُحدِثه؟ قال: لا. لأن الله يجعل أكثره غذاء. قال: فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاء.

جمع المأمون بين العتَّابي وبين أبي قرَّة النصراني، فقال لهما: تناظرا وأوجزا. فقال العتابي لأبي قرة: أسألك أم تسألني؟ فقال: سلني. قال: ما تقول في المسيح؟ قال: أقول إنه من الله عز وجل. فقال العتابي: إن "مِنْ" تجيء

على أربعة أوجه: فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ، والولد من الوالد على سبيل التناسل، والخل من الحلو على سبيل الاستحالة، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة، فهل عندك خامسة قال: لا، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول؟ فقال العتابي: إن قلت: إنه كالبعض من الكل جزّأته، والباري لا يتجزأ، وإن قلت: إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانياً من الأولاد وثالثاً ورابعاً إلى ما لا نهاية، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل، وإن قلت على سبيل الاستحالة، أوجبت فساداً، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال، وإن قلت: إنه كالخلق من الخالق، كان قولاً حقاً، وهو الحق الذي لا شك فيه.

وصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج، فأراد أن يختبره، فقال: يا أبا إسحاق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار، بطيئة الانجبار. فأعجب ذلك أبا عبيدة.

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان: أيُّما أحسن، دار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن.

سمع سوارٌ القاضي الحجّاج بن أرطاة يقول: أهلكني حب الشرف، فقال: اتق الله تشرف.

قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان، فقالا: إن أبانا توفي فترك مالاً عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد أنت القائل[1]:

حميدُ الّذي أمجٌ[2] دارُهُ أخو الخمرِ ذو الشَّيبةِ الأصلعُ

أتاني المشيبُ على شُربِها وكان كريماً فما ينزعُ

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررتَ فإني سأجلدُك؟ قال ولم؟ قال: لأنك أقررتَ بشرب الخمر، وزعمتَ أنك لا تنزِع عنها. فقال: هيهات، أين تذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)؟ قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلتَّ. ثم قال: ويحك يا حميد، كان أبوك صالحاً، وأنت رجل سوء. قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلُّ الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك مالاً. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا

---

[1] انظر: أمالي ابن الشجري، والعقد الفريد، ومعجم ما استعجم، ورسالة الغفران، ونوادر أبي زيد، والكامل، والمقتضب، والعسكريات، وسرّ صناعة الإعراب، والإنصاف، وضرائر الشعر، والخزانة، واللسان.

[2] أَمَجُ: بلد من أعراض المدينة، منها: حميد الأمجي (معجم البلدان).

مالُهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك. قال: ما كان ليعود إليَّ وقد خرج من عندي.

دخل الأحنف بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً، فقال: يا أحنف ما الشيء الملَّفف في البجاد؟ يُعرِّض له بقول الشاعر[1]:

إذا ما مات ميتٌ من تميمٍ فسرّكَ أن يعيشَ فجئ بزادِ
بخبزٍ أو بتمْرٍ أو بسمْنٍ أو الشيءِ الملفَّفِ في البجادِ
تراه يطوفُ في الآفاق حرصاً ليأكلَ رأس لقمانِ بنِ عادِ

والشيء الملفف في البجاد: وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه، فقال: الشيء الملفف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين. وذلك أن قريشاً كانت تُعَيَّر بأكل السخينة. وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسْغَبَة وغلاء السعر.

باب الأدب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منح والدٌ ولدَه خيراً من أدب حسن" وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: "ما نحل والدٌ ولده خيراً من أدب حسن"[2].

---

[1] نسبها ابن سلام في طبقات فحول الشعراء إلى يزيد بن الصَّعق، ونسبت إلى أب المهوس الأسدي، كما في القاموس. وقال ابن بري: الصحيح أنها ليزيد بن عمرو بن الصعق. وانظر: عيون الأخبار وأدب الكاتب لابن قتيبة.

[2] ضعفه الترمذي والأرناؤوط، والألباني في ضعيف الجامع.

قال سليمان بن داوود: من أراد أن يغيظ عدوَّه، فلا يرفع العصا عن ولده.

وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: أكرمْ ولدَك وأحسن أدبه.

كان يقال: من أدّب ولده أرغم أنفَ عدوِّه.

قال الحسن: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر.

قال الشاعر[1]:

خيرُ ما ورَّثَ الرّجالُ بَنيهمْ أدبٌ صالحٌ وحُسْنُ الثّناءِ
هو خيرٌ منَ الدَّنانيرِ والأو راقِ في يومِ شِدَّةٍ أو رخاءِ
تلكَ تَفْنى والدِّينُ والأدبُ الصَّـ ـالحُ لا يفنيانِ حتَّى البقاءِ
إنْ تأدَّبتَ يا بُنَيَّ صغيراً كنتَ يوماً تُعَدُّ في الكُبراءِ
وإذا ما أضعتَ نفسَكَ أُلْفيـ ـتَ كبيراً في زمرةِ الغَوْغاءِ
ليس عطفُ القضيبِ إن كان رَطْـ ـباً وإذا كان يابساً بسواءِ

قال لقمان: ضربُ الوالدِ للولد كالسّماد للزرع.

قال بعض الحكماء: لا أدب إلاّ بعقل، ولا عقل إلا بأدب.

كان يقال: التجربة علم، والأدب عون، وتركه مضرّة بالعقل.

كان يقال: العون لمن لا عون له الأدب.

---

[1] منسوبة إلى ابن قمٍ الزبيدي اليمني: الحسين بن علي بن محمد بن مويه. وهو خطأ لأنه ولد سنة ثلاثين وخمسمائةٍ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائةٍ، أي بعد المؤلف ابن عبد البر بأكثر من سبعين سنة. ونسبت أيضاً إلى خلف الأحمر كما في كنز الكتاب ومنتخب الأدب للبونسي. ويقال: هي وصية إبراهيم بن داود البغدادي لابنه. انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي،

قال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أنّ النار في الظلمة نور البصر.

قال الأصمعيّ: ما مطيةٌ أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب.

قال بزرجمهر: أرفع منازل الشَّرف لأهله العلم والأدب.

وقيل: من قعد به حسبه نهض به أدبه.

وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطّى أعناق الرّجال إليه: إنّ الأدب المترادف خير من النَّسب المتلاحف.

كان يقال: الأدب من الآباء، والصّلاح من الله.

كان يقال: من أدّب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً.

وقال الحجاج لابن القرِّيَّة: ما الأدب؟ قال: تجرُّع الغصّة حتى تمكن الفرصة.

ووصف أعرابيٌّ الأدب في مجلس معمر بن سليمان، فقال: الأدب أدب الدّين، وهو داعيةٌ إلى التوفيق، وسببٌ إلى السعادة وزادٌ من التقوى، وهو أن تعلم شرائع الإسلام، وأداء الفرائض، وأن تأخذ لنفسك بحظّها من النافلة، وتزيد ذلك بصحّة النية، وإخلاص النفس، وحبّ الخير، منافساً فيه، مبغضاً للشرِّ نازعاً عنه، ويكون طلبك للخير، رغبةً في ثوابه، ومجانبتك للّشِّر رهبةٌ من عقابه، فتفوزَ بالثواب، وتسلمَ من العقاب، ذلك إذا اعتزلت ركوب الموبقات، وآثرت الحسنات المنجيات.

وقال أعرابيٌّ: الأديب من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل، ولم يتورط في هفوة، وكان أدبه زلفى إلى الحظوة في دنياه وأخراه.

قال منصور الفقيه[1]:

ليس الأديبُ أخا الرِّوا يةِ للنّوادرِ والغريبْ
ولشعرِ شيخِ المحدَثينَ أبي نواسٍ أو حبيبْ
بل ذو التَّفضلِ والمرو ءةِ والعفافِ هو الأديبْ

كان يقال: من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه.

وقال الحطيئة[2]:

إذا نكباتُ الدَّهرِ لم تعِظِ الفتى عنِ الجهلِ يوماً لم تعِظْه أناملُهْ
ومن لم يؤدِّبه أبوه وأمُّه تؤدِّبْه روعاتُ الرَّدى وزلازلُهْ
فدعْ عنكَ ما لا تستطيعُ ولا تُطِعْ هواكَ ولا يذهبْ بحقّكَ باطلُهْ[3]

---

[1] نسبها ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى سعد بن محمد بن علي بن الحسين بن معبد بن مطر، وعرف به أنه كان شاعراً حسن الشعر، مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

[2] أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بالحطيئة. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر. ولد لدى بني عبس من أَمةٍ اسمها (الضراء) دعِيًّاً لا يُعرفُ له نسب فشبّ محروماً مظلوماً، لا يجد مدداً من أهله ولا سنداً من قومه فاضطر إلى قرض الشعر يجلب به القوت، ويدفع به العدوان، وينقم به لنفسه من بيئةٍ ظلمته، ولعل هذا هو السبب في أنه اشتد في هجاء الناس، ولم يكن يسلم أحد من لسانه فقد هجا أمّه وأباه حتى إنّه هجا نفسه.

٣ نسبها ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى يحيى بن محمد الشريف أبو المعمر ابن طباطبا العلوي، وقال عنه: كان نحويا أديباً، مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. ونسبها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد إلى يَحْيَى بْن المبارك اليزيدي، وقال عنه: تُوُفِّيَ فِي سنة اثنتين ومائتين.

وقال آخر[1]:

من لم يؤدِّبه والداهُ أدَّبه اللَّيلُ والنَّهارُ

وقال محمد بن جعفر: الأدب رياسة، والحزم كياسة، والغضب نار، والصَّخب عارٌ.

قال ابن القِرِيَّة[2]: تأدَّبوا فإن كنتم ملوكاً سُدْتم، وإن كنتم أوساطاً رُفِعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم.

قال شبيب بن شبية[3]: اطلبوا الأدب فإنّه عونٌ على المروءة، وزيادةٌ في العقل، وصاحبٌ في الغربة، وحليةٌ في المجالس.

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قول الله عزّ وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)، قال: أدّبوهم وعلّموهم.

قال الشاعر[4]:

يقوِّمُ من ميلِ الغلامِ المؤدِّبُ ولا ينفعُ التّأديبُ والرَّأسُ أشيبُ

---

[1] نسبه ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد إلى إبراهيم بن شكلة، ونسبه الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار إلى أبي محلم، وبذا جزم ابن حمدون في التذكرة الحمدونية.

[2] أيوب ابن القريّة، والقِريّة اسم أمه ، كان ابن القرية أعرابياً أمياً، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته، ووفد على عبد الملك بن مروان، وعلى الحجاج بن يوسف الثقفي فأعجب بفصاحته وجعله من اصحابه.

[3] شبيب بن شبة: الأخباري الأديب الشاعر صاحب خالد بن صفوان، ولهما أخبار ومواقف مشهورة عند الخلفاء والأمراء، وكان بين شبيبٍ وأبي نخيلة الراجز الشاعر صحبة ومودة.

[4] انظر: الحيوان للجاحظ.

وقال آخر[1]:

إنَّ الحداثةَ لا تقصـ ـرُ بالفتى المرزوقِ ذِهنا

لكنْ تزكِّى عقلَه فيفوقُ أكبرَ منه سنَّا

وقال آخر[2]:

رأيتُ الفهمَ لم يكنِ انتهاباً ولم يُقْسَمْ على مرِّ السِّنينِ

ولو أنَّ السِّنينَ تقاسمتْه حوى الآباءُ أنصبةَ البنينِ

قال مصعب بن عبد الله الزُّبيري: قال لي رجل من أهل الأدب فارسيُّ النَّسَب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجةٌ إلى شجاعتِه وبأسِه، والعالِم، فبالناس حاجةٌ إلى علمِه، والحلوُ اللسان، فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانِه ولينِ كلامِه، فإن لم تعط رباطةَ الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتنك

[1] انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، والمحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، والمقاصد الحسنة للسخاوي، والمنتحل للثعالبي، من غير نسبة.

[2] نسبهما ياقوت في معجم الأدباء إلى الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين الرافقي المعروف بالخالع، وقال عنه: أحد كبار النحاة، كان إماماً في النحو واللغة والأدب، وله شعر، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. ورواهما الحُصري القيرواني في زهر الآداب وثمر الألباب، من غير نسبة.

العلمُ وقراءةُ الكتب، فإن بها أدباً وعلماً قد قيَّدتْه لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.

قال سابق البربريّ[1]:

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مهلٍ ... وليس ينفعُ بعدَ الكِبْرةِ الأدبُ

إنَّ الغصونَ إذا قوَّمتَها اعتدلتْ ... ولن تلينَ إذا قوّمَتَها الخُشُبُ[2]

قيل لعيسى عليه السلام: من أدَّبك؟ قال: ما أدَّبني أحدٌ، رأيتُ جهلَ الجاهل فاجتنبْتُه.

قال بعض الحكماء: أفضل ما يورِّثُ الآباءُ الأبناءَ: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون، وأنشدوا:

ويَعْدَمُ عاقلٌ أدباً فيجفو ... وتنسبُهُ إلى غِلَظِ الطِّباعِ

ومنزلةُ التَّأدبِ من أديبٍ ... بمنزلةِ السِّلاحِ من الشُّجاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بَنِيَّ لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوِّلون عليه؟[3] فقال الوليد: أما أنا ففارس حرب، وقال سليمان: أما أنا فكاتب

---

[1] سابق البربري، شاعر من الزهاد، وهو ليس منسوباً إلى البربر وإنما لقب له. ويرده بعض الباحثين إلى أصول عربية، ويرى أنه هاجر من المغرب العربي إلى بلاد الشام.

[2] في البيان والتبيين للجاحظ، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي، من غير نسبة. ونسبهما ابن سعيد المغربي في نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب إلى طرفة بن العبد.

[3] يعني لو لم تكونوا أمراء فماذا كنتم صانعين في عيشكم.

سلطان، وقال ليزيد: فأنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما تركا غايةً لمختار، فقال عبد الملك: فأين أنتم يا بَنِيَّ من التجارة التي هي أصلُكم ونسبتُكم؟ فقالوا: تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة، ولا ينجو صاحبُها من الدخول في جملة الدَّهماء والرعية، قال: فعليكم إذن بطلب الأدب، فإن كنتم ملوكاً سُدتم، وإن كنتم أوساطاً رأستم، وإن أعوزتكم المعيشةُ عِشْتم.

باب ترويح القلوب وتنبيهها

قال عبد الله بن مسعود: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتخوَّلنا بالموعظة مخافة السّآمةِ علينا[1].

وكان عليُّ بن أبي طالب يقول: إنّ هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائفَ الحِكمة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: نبِّه بالتفكّر قلبَك، وجاف عن النوم جنبَك، واتق اللهَ ربَّك.

قال أبو الدّرداء: إني لأستجِمُّ قلبي بشيءٍ من اللهو، ليكونَ أقوى لي على الحقّ.

قال عبد الله بن مسعود: أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أُكرِه عَمِي.

وقال أيضاً: إنَّ للقلوب شهوةً وإقبالاً، وفترةً وإدباراً، فخذوها عند شهواتِها وإقبالِها، وذروها عند فترتِها وإدبارِها.

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

كان يقال: الملالة تفسخ المودَّة، وتولِّد البِغْضة، وتنغِّص اللّذة.

قال أرسطو طاليس: ينبغي للرّجل أن يعطيَ نفسَه لذَّتَها في النهارِ ليكونَ ذلك عوناً لها على سائرِ يومِه.

في صحف إبراهيم عليه السّلام: وعلى العاقلِ أنْ يكونَ له ثلاثُ ساعات: ساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسَه، وساعةٌ يخلِّي فيها بين نفسه وبين لذاتِها فيما يحلُّ ويجمُل، فإنّ هذه الساعةَ عونٌ له على سائر السّاعات.

قال عمر بن عبد العزيز: تحدَّثوا بكتاب الله تعالى، وتجالَسوا عليه، وإذا مللتم فحديثٌ من أحاديث الرّجالِ حَسَنٌ جميل.

وقال بعض الحكماء من السَّلف: القلوب تحتاج إلى قُوتِها من الحكمة كما تحتاج الأبدانُ إلى قُوتِها من الغِذاء.

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه، وهو في نومِ الضّحى، فقال: يا أبت إنّك لنائم، وإنّ أصحاب الحوائجِ لراكدون ببابك فقال: يا بنيَّ إن نفسي مطيّتي، وإن حملتُ عليها فوقَ الجهدِ قطعتُها.

قال الحسن البصريُّ رضي الله عنه: حادثوا هذه القلوب، فإنّها سريعة الدُّثور[1]، وأفزعوا هذه النفوس فإنها طُلَعَة[1]، وإن لم تفعلوا هوتْ بكم إلى شرٍّ غاية.

---

[1] الدثور: الغفلة.

وقال غيره من العلماء: حادثوا هذه القلوب فإنّها تصدأ كما يصدأ الحديد، وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم، أنه قال: "إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد". قالوا: فما جِلاؤها يا رسول الله؟ قال: "تلاوة القرآن"[٢].

كان يقال: الفكرة مرآة المؤمن، تُريه حَسَنَه من قبيحِه.

كان يقال: التفكر نورٌ، والغفلة ظُلمة.

باب قولهم في وصف العيش وما تتمنَّاه النَّفس

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من أصبح منكم آمناً في سِربه، معافىً في جسمِه، معه قُوت يومِه، فكأنّما حيزتْ له الدنيا"[٣].

كان عمر بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب[٤]:

المرءُ ساعٍ لأمرٍ ليس يدركُهُ والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ[٥]

---

[١] يعني كثيرة التطلّع والتشوّق.

[٢] ضعفه ابن طاهر وابن الجوزي والعراقي والألباني، وذلك لضعف عبد الرحيم بن هارون.

[٣] رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

[٤] عبدة بن الطبيب: يزيد بن عمرو بن علي التميمي، كان شاعراً مجيداً ليس بالمكثر. كان أسود اللون وهو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن المقرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. وقد تأثّر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بشعر عبدة.

[٥] البيت في المفضليات، من قصيدة عبدة التي مطلعها: (هَلْ حَبْلُ خَوْلَةَ بَعْدَ الهَجْرِ موصولُ ... أَم أَنتَ عنها بعيدُ الدَّارِ مشغولُ).

قال زيادٌ لجلسائه: من أَغْبَطُ الناسِ عيشاً؟ قالوا: الأمير وجلساؤه. فقال: ما صنعتم شيئاً، إنّ لأعوادِ المنابرِ هيبةً، وإنّ لِقَرعِ[1] لجامِ البريدِ لفَزْعة، ولكن أغبطُ النّاسِ عندي: رجلٌ له دارٌ لا يجري عليه كراؤها، وله زوجة صالحة، قد رَضِيتْه ورَضِيَها فهما راضيان بعيشِهما لا يعرفُنا ولا نعرفُه، فإنّه إن عرفنا وعرفناه أتعبْنا ليلَه ونهارَه، وأفسدْنا دينَه ودنياه.

قال عمر: لما فتح الله على رسوله بني النضير، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قُوتَ سَنَة، ثم يجعل الباقي في الكراع والسّلاح في سبيل الله[2].

وقال سليمان: إذا أحرزتِ النفسُ قُوتَها اطمأنَّتْ.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إذا تمنّى أحدُكم فليكثر، فإنّما يسأل ربّه"[3].

وليس في هذا معارضة لقول الله: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه، ليصرفه الله عنه إليه، فذلك التمني المكروه.

قال محمد بن سيرين: نُهيتم عن الأمانيّ، ودُللتم على ما هو خير منها لكم، سَلُوا الله من فضله.

---

[1] في الأصل: لفرع. وهو خطأ من الناسخ.

[2] أخرجه البخاري ومسلم.

[3] صححه الهيثمي، والأرناؤوط، والألباني في صحيح الجامع.

وقد ذكرنا في كتاب "التمهيد" معنى قوله عليه السلام: "لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به"[1]، عند قوله عليه السلام: "لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول: يا ليتني مكانه"[2].

قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيلي: ما بقي من لذَّاتك؟ قال جليس يَقْصُرُ به طول ليلي، وزائرٌ أشتهي من أجلِهِ طولَ السَّهر.

وقال غيره: زائر أشتهي به طولَ السهر ودابةٌ أشتهي من أجلِها طولَ السَّفر.

قال مَسْلَمة بن عبد الملك[3]: العيشُ في ثلاثٍ: سعة المنزل، وموافقةِ المرأة، وكثرةِ الخدم.

قال عباية الجُعْفيّ[4]: ما يسرُّني بنصيبي من التَّمني حُمْرُ النَّعَم.

قال عبد الرحمن بن أمِّ الحكم: لذة العيش في: زحف الأحرار إلى طعامِك، وبذلِ الأشراف وجوهَهم إليك فيما تجد السبيل إليه، وقولِ المنادي: الصلاة أيها الأمير.

---

[1] رواه البخاري ومسلم.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان (٦٦ -١٢١ هـ)، أمير أُموي، وقائد عسكري، ووالٍ، وسياسي ورجل دولة. برز بخوضه الكثير من المعارك والغزوات والحملات العسكرية على كُلٍّ مِن الإمبراطورية الروميَّة البيزنطيَّة وإمبراطورية الخزر والخوارج والجراجمة، وكانت جلَّ حروبه وأغلبها على الدولة الرومية البيزنطية.

[4] له ذكر في : البيان والتبيين، والحيوان.

قال قتيبة بن مسلم لوكيع بن أبي سود: ما السرور؟ قال: لواءٌ منشور، وجلوسٌ على السّرير، والسّلام عليك أيّها الأمير.

قيل لأمّ البنين: ما أحسنُ شيءٍ رأيتِ؟ قالت: نِعَمَ الله مقبلةً عليَّ.

سأل قتيبة رجلاً: ما السّرور؟ قال: الولد الصالح والمال الواسع.

قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –: لذّة العيش ظَفَرُك بمن تحبّ بعد امتناع، ولذةٌ لا توجب عليك إثماً، وحقٌ وافق هوىً.

قيل لأبي حازم: ما اللّذة؟ قال: الموافقة، ولا أنيسَ كالصاحب المواتي.

قال شبيب بن شيبة: عيش الدنيا في ثلاث: محادثة الإخوان، ومباشرة النسوان، وشم الصبيان.

قال بعض الحكماء: كثرة الالتفات سُخف، ومجالسة الحمقى تورث النَّوَك[1]، وكثرة المنى تُخْلِق العقل[2]، وتفسد الدين، وتنفي القناعة.

قال أبو العتاهية[3]:

للهُ أصدقُ والآمالُ كاذبةٌ وجُلُّ هذي المنى في القلبِ وسواسُ

---

[1] النُّوك: الحمق والغباء.

[2] يعني تبليه وتفنيه وتذهب به.

[3] في الحيوان من غير نسبة.

ذكر عمرو بن بحر[1] عن الأصمعي قال: قال بعضهم: الاحتلام أطيب من الغَشَيان، وتمنِّيك الشيءَ أوفرُ حظاً للّذة من قدرتك عليه.

قال عمرو بن بحر: كأنه ذهب إلى أن المال إذا ملك وجبت فيه حقوق، وخاف مالكُه عليه الزوال، واحتاج إلى الحفظ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه.

ذكر المدائني قال: قيل لامرئ القيس: ما أطيبَ عيش الدّنيا؟ فقال: بيضاء رعبوبة، بالطّيب مشبوبة، باللحم مكروبة[2].

وسئل الأعشى: أيّ العيش ألّذ؟ فقال: صهباء صافية[3]، تمزجها ساقية، من صوب غادية.

وسئل طَرَفة، فقال: مَطْعمٌ شهيّ، ومَلْبس زَهِيّ، ومَرْكب وَطِيّ.

---

[1] الشهير بالجاحظ: (٢٥٥-١٥٩ هـ) الأديب العربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي.

[2] يقصد المرأة الجميلة.

[3] هي الخمر أم الخبائث.

وقال غيره[1]:

أطيبُ الطَّيِّباتِ قتلُ الأعادي واختيالٌ على متونِ الجيادِ

وأيادٍ حبوتهنَّ كريماً إنّ عندَ الكريمِ تزكوا الأيادي

ولبعض الحكماء: أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيتُه وضاقت مقدرتُه، وبعدت همّتُه.

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة: أيّ الأمور أمتع؟ فقال: ممازحة حبيب، ومحادثة خَدِين، وأَمانٍ تَقْطع بها أيامَك. وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قيل له: أيُّ شيءٍ أكثر إمتاعاً؟ قال: المنى.

قال بعض الأعراب، ويروي لأبي بكر العرزمي[2]:

منى إن تكنْ حقاً تكنْ أحسنَ المنى وإلاَّ فقدْ عشنا بها زَمَناً رَغْدا

أمانيُّ من سلْمى عِذابٌ كأنَّما سقتكَ بها سلمى على ظمإٍ بَرْدا[1]

---

[1] في عيون الأخبار من غير نسبة. وقد نسبه ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات والحسن اليوسي في زهر الأكم في الأمثال والحكم، إلى أبي دلف العِجْلي: القاسم بن عيسى (ت ٢٢٦هـ) شاعر مجيد وفارس شجاع، اشتهر بجوده وكرمه، وجمع حسن الأدب إلى جودة الشعر. كان أبو دلف سيد أهله ورئيس عشيرته من عِجل وغيرها من ربيعة، قلده الخليفة الرشيد وهو حدث السن أعمال الجبل، وكان أحد قواد المأمون والمعتصم.

[2] أبو بكر العرزمي: محمد بن عبيد الله من اليمن من حضرموت، كوفي أدرك أول الدولة العباسية. وجل شعره آداب وأمثال.

اجتمع عبد الله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام، عند الكعبة، فقال عبد الله: أحب ألا أموت حتى تجيء إليَّ الأموال وأكون خليفة.

وقال مصعب: أحب أن أليَ العراقين - يعني الكوفة والبصرة - وأُزوّج سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة.

وقال عروة: لكني أسأل الله الجنة. فصار عبد الله ومصعب إلى ما تمنيا، ويرون أن عروة صار إلى الجنة.

كان المتمني بالكوفة إذا تمنى يقول: أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة، وحفظ سفيان، وورع مسعر بن كدام، وجواب شريك.

قال الأصمعيّ: قال لي ابن أبي الزناد: المنى والحلم أخوان.

قال مالك بن أسماء[٢]:

---

[١] نسبهما الفارسي في شرح الحماسة إلى رجل من بني الحارث، ونسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار إلى بعض الأعراب، ونسبهما أبو الفتح العباسي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص إلى ابن سارة، وفي الصناعتين لأبي هلال العسكري من غير نسبة.

[٢] مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، كان جدّه من سادات غطفان في نجد ثم نزل الكوفة في حيّ بني أسد بن خزيمة فكان له و لولده من بعده جاه و شرف في الكوفة وخاصة بالعصر الأموي.

ولما نزلْنا منزلاً طلَّه النّدى أنيقاً وبستاناً من النَّوْرِ حاليا
أجَدَّ لنا طيبُ المكان وحسنُهُ مُنىً فتمنَّينا فكنتَ الأمانيا[1]

قال سلم الخاسر[2]:

لولا مُنى العاشقينَ ماتوا أسىً وبعضُ المنى غُرورُ
مَنْ راقب الناسَ مات غمّاً وفاز باللَّذةِ الجَسورُ[3]

وقال منصور الفقيه[4]:

لو أنَّ ليتاً نفعتْ مع تركِ ما ينفعني
ما كان لي قولٌ سوى يا ليتني لم أكنِ

وقال آخر[5]:

ذهبَ البردُ وآبا فاستوى العيشُ وطابا

---

[1] نسبا إلى مالك الفزاري في عيون الأخبار لابن قتيبة، ونسبهما الزمخشري في ربيع الأبرار إلى خالد بن المهاجر الزهري، ونسبهما ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق إلى الحسين بن مطير بن مكمل.

[2] سلم بن عمرو بن حماد الخاسر (ت ١٨٦ هـ) من شعراء العصر العباسي. ورث عن أبيه مالاً أنفقه ولم يبقِ منه شيئاً فلقبوه بالخاسر. وهو أحد تلاميذ بشار بن برد (ت ١٦٧هـ) وتكاد آراء النقاد تجمع على أنه احتذى مذهب بشار في السهولة والأناقة والرشاقة ولين النسيج اللغوي.

[3] الديوان، وانظر: لباب الآداب والتمثيل والمحاضرة والإعجاز والإيجاز للثعالبي.

[4] الديوان.

[5] في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري من غير نسبة.

وقال آخر[1]:

ولي مِن تمنِّي النَّفس دنيا عريضةٌ ومُصْطبَحٌ يغدو عليَّ ويَطرُقُ
تُمَلِّكني الأموالَ لا فقرَ بعدَها وعِرساً غيوراً فاحِشاً وتَطَلُّقُ
فقدتُ المنى لا نحن نلهو عن المنى لتجربةٍ منَّا ولا هي تصدُقُ

وقال آخر[2]:

وأكثرُ أفعالِ الليالي إساءةٌ وأكثرُ ما تلقى الأماني كواذِبا

وأنشد نِفطويه[3]:

الدهرُ يصدُقنا وتكذبُنا المنى بعِداتها وتغرُّنا الآمالُ
وإذا المنيَّةُ أقبلتْ لم تُثْنها خيلٌ مُطهَّمةٌ ولا أموالُ

---

[1] في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لأبي الفتح العباسي من غير نسبة.

[2] نسبه الحصري القيرواني في زهر الآداب وثمر الألباب إلى صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري.

[3] نفطويه: أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ. إمام حافظ، إمام من أئمة النحو، فقيه ظاهري (٢٤٤ -٣٢٣ هـ), لقِّب (نفطويه) تشبيهاً له بالنفط، لدمامته وأدمته، وزيد مقطع (ويه), لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو. ولد بمدينة واسط في العراق، وسكن بغداد ومات فيها.

وقال آخر[1]:

إنّ القناعةَ والعفا فَ ليغنيانِ عن الغِنى

فإذا صبرتَ على المنى فاشكرْ فقد نلتَ المنى

وقال عبد الملك بن حبيب[2]:

صلاحُ أمري والَّذي أبتغي هَيْنٌ على الرَّحمنِ في قدرتِهْ

ألفٌ من البيضِ وأقللْ بها لعالِمٍ أزرى على بغيتِهْ

زرياب[3] قد يأخذُها جملةً وصنعتي أشرفُ من صنعتِهْ[4]

قال آخر[5]:

مُسيئاتُ أيّامِ الزَّمانِ كثيرةٌ ومُحْسنةُ الأيامِ في الدَّهرِ أعلامُ

وعيشُكَ فيما تستخِصُّ وتصطَفي قصيرٌ وإن طالتْ ليالٍ وأيّامُ

---

[1] نسبها الماوردي في أدب الدنيا والدين إلى إبراهيم بن المدبر: إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (١٩٥ – ٢٧٩ هـ)، وزير، من الكتاب المترسلين الشعراء. من أهل بغداد. تولى ولايات جليلة. واستوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة ٢٦٩ هـ.

[2] مروان عبد الملك بن حبيب المرداسي السلمي الألبيري (١٧٤ – ٢٣٨ هـ) عالم دين أندلسي مالكي المذهب.

[3] زرياب: موسيقي ومطرب عذب الصوت شهير من بلاد الرافدين من العصر العباسي. والمعنى أن أرزاق العلماء قد تكون أقل من أرزاق المغنين وأهل اللهو، وهذا موجود في كل عصر إلى يوم الناس هذا.

[4] انظر: كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح بن خاقان.

[5] لم أجده.

فصِلْ بسرورِ النَّفسِ عيشَكَ إنَّه مضى مثلُ ما مرّتْ بعينِكَ أحلامُ

قال بشار بن برد[1]:

ذكرْنا أحاديثَ الزَّمانِ الَّذي مضى فلذَّ لنا محمودُها وذميمُها

وقال آخر[2]:

من راقبَ الموتَ لم تكثرْ أمانيهِ ولم يكن طالباً ما ليس يعنيهِ

قيل لرقبة بن مصقلة[3]: أنت بعيدُ الدار من المسجد، وتنصرف بلا مؤنس؟ قال: إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل.

قال لبيد بن أبي ربيعة[4]:

واكذِبِ الَّنفسَ إذا حدَّثْتَها إنّ صدقَ النَّفسِ يُزري بالأملْ

وقال آخر[5]:

ربَّ مَنْ بات يمنِّي نفسَهُ حالَ مِنْ دونِ مُناه أَجَلُه

---

[1] انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، والحيوان للجاحظ.

[2] في الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين ابن مفلح من غير نسبة.

[3] رقبة بن مصقلة: الإِمَامُ, الثَّبْتُ, العَالِمُ, أبي عَبْدِ اللهِ العَبْدِيُّ, الكُوْفِيُّ. حَدَّثَ عَنْ: أَنَسِ بنِ مَالِكٍ. وَعَنْ عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ, قَالَ عنه أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: ثِقَةٌ مَأْمُوْنٌ.

[4] الديوان، والحماسة البصرية لصدر الدين البصري، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، والتذكرة الحمدونية، ودلائل الإعجاز للجرجاني عبد القاهر.

[5] هو أبو الأسود الدؤلي، في ديوانه، ومطلعها: أَيُها الآملُ ما لَيسَ لَهُ ... رُبَّما غَرَّ سَفيهاً أَمَلُه.

قال يزيد على المنبر: ثلاث يَخْلِقن العقل، وفيها دليلٌ على الضعف: سرعة الجواب، وطول المنى، والاستغراق في الضحك.

وقال الأحنف بن قيس: كثرة الأماني من غرور الشيطان.

قال حبيب[1]:

من كان مرتعَ عزمِهِ وهمومِهِ روضُ الأماني لم يزلْ مَهْزولا[2]

وقال آخر[3]:

إذا تمنيتُ بتُّ الليلَ مغتبِطاً إن المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

وقال آخر[4]:

إذا حدَّثتكَ النَّفسُ أنكَ قادرٌ على ما حوتْ أيدي الرِّجالِ فكذِّبِ

فإنْ أنتَ لم تفعلْ ومالَ بكَ الهوى إلى بعضِ ما مَنَّتْكَ يوماً فجرِّبِ

قال أبو العتاهية[5]:

---

[1] الشهير بأبي تمام الشاعر المعروف.

[2] انظر: الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي، والحماسة المغربية للجراوي، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي.

[3] في عيون الأخبار لابن قتيبة، واللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبو العلاء المعري، وزهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي، من غير نسبة.

[4] في: المنتحل للثعالبي، والمحاسن والأضداد للجاحظ، والذخائر والعبقريات للبرقوقي، والكامل في اللغة والأدب للمبرد، من غير نسبة.

[5] لم أجدها عنده ولا عند غيره.

إنما الفقرُ فضولُ التَّمنِّي فانْسَها واستوهبِ الله ذِكْرا

قيل لسليمان بن عبد الملك: ما اللّذة؟ قال: جليس ممتع أضع[1] بيني وبينه التّحفُّظ.

قال الحجاج بن يوسف لخريم، وهو خريم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة المرّي[2]: ما العيش؟ قال: الأمن؛ فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش. قال: زدني قال: والشّباب؛ فإني رأيت الشّيخ لا ينتفع بعيش. قال: زدني. قال: والصّحة؛ فإني رأيت السّقيم لا ينتفع بعيشٍ. قال زدني. قال: لا أجد مزيداً.

قال أعرابيّ[3]:

وما العيشُ إلاّ في الخُمولِ مع المنى وعافيةٍ تغدو بها وتروحُ

---

[1] أضع: أترك.

[2] خُرَيم بن خليفة بن الحارث بن خارجة الغطفانيّ المري: يضرب به المثل في التنعم، فيقال (أنعمُ من خريم) ويُقال لَهُ خُريم الناعم فكان يلبس فِي الصيف الخُلْقان، وفي الشتاء الجُدُد. كان معاصراً للحجاج الثقفي وله معه أخبار.

[3] البيت في المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري، وقال عنه: أَنْشَدَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ. ونسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء إلى البريدي وأظنه خطأ مطبعي صوابه اليزيدي كما يأتي، فقد نسبه الثعالبي في درر الحكم لأبي منصور الثعالبي إلى اليزيدي.

وقال آخر[1]:

إنّ الفتى يصبحُ للأسقامِ كالغرضِ المنصوبِ للسِّهامِ

أخطأ رامٍ وأصاب رامِ يقول: إنِّي مدركٌ أمامي

في قابلٍ ما فاتني في العامِ[2]

قيل لرجل من الحكماء: من أنعمُ الناس عيشاً؟ قال: من كُفِيَ همَّ الدنيا، ولم يهتم بالآخرة.

قال الشاعر[3]:

لا تمنَّ المنى فتغترَّ جهلاً طالما اغترَّ بالمنى الجهلاءُ

قال آخر[4]:

ليت شعري وأين مِنِّيَ ليتَ إنَّ ليتاً وإنَّ لَوَّاً عناءُ

---

[1] هو أبو النجم العجلي: الفضل بن قدامة بن عبيد بن عبيدالله بن عبدة بن الحارث بن إياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل. مقدم عند جماعة من أهل العلم على العجّاج.

[2] انظر: التذكرة الحمدونية للحمدوني، التمثيل والمحاضرة للثعالبي، ربيع الأبرار للزمخشري، الحيوان للجاحظ.

[3] لم أجده.

[4] نسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى أبي زبيدٍ الطائي: حرملة بن المنذر بن مَعد يَكرب. شاعر مخضرم أدرك الإسلام ولم يُسلم ومات على النصرانيّة.

باب اختلاف الهمم في أنواع المال

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: "خير المال عينٌ ساهرةٌ لعين نائمة"[1].

وروي عنه عليه السّلام أنه كان يأمر الأغنياء باتّخاذ الغنم، ويأمر المساكين باتّخاذ الدَّجاج[2].

قال مالك بن أنس – رحمه الله –: لما خرج مروان من المدينة مرّ بماله بذي خُشُب[3]، فلما نظر إليه قال: ليس المال إلا ما أُسْرِجَتْ عليه المناطق.

قيل لابنة الخُس[4]: ما تقولين في مائة من المعِز؟ قالت: قِنِىً[5]. قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غنىً، قيل فمائة من الإبل؟ قالت: مُنىً[1].

---

[1] ومعناه: عينُ ماء تجْرِي لَيْلاً ونهاراً وصاحبُها نائم، فجعل جَرْيها سَهَراً لها. والحديث في: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، وغريب الحديث لابن قتيبة، وفي أدب الدنيا والدين للماوردي، وفي كتب اللغة بكثرة ككتاب: لسان العرب، والفائق، والبيان والتبيين، وغيرها، وجميعها بدون إسناد.

[2] أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وهو موضوع، لحال علي بن عروة الدمشقي. كما ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الموضوعة .

[3] واد قريب من المدينة.

[4] هند ابنة الخُس: عاشت في الجاهلية وأبوها هو الخُس بن حابس بن قريط الإيادي، عرفت بفصاحة لسانها وبلاغة أقوالها، وقد وصفها الجاحظ بأنها: "من أهل الدهاء والجواب العجيب والكلام الفصيح، والأمثال السائرة. وسميت بالزرقاء، قال أبو عمرو بن العلاء: "داهيتا نساء العرب هند الزرقاء، وعَنَز الزرقاء زرقاء اليمامة.

[5] يعني غنيمة ومكسب.

وأما قول امرئ القيس[٢]:

لنا غَنَمٌ نسوِّقها غزارٌ كأنّ قرونَ جِلَّتِها العِصِيُّ

فإنه أراد أنها كانت مِعْزى، لوصفه قرونها بالعصي، وأما قوله:

فتملأ بيتَنا إقطاً وسمناً وحسبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وريُّ

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من لبن البقر، وقالوا: المعزى أكثر لبنا، وأكثر سمناً وزبداً.

قال المستورد[٣]: الذَّهب والورق حجران، إن تركتهما لم يزيدا، وإن أخذت منهما نفدا، والحيوان كالبقل إن أصابته الشمس ذوى، ولكنِ المالُ الأرضُ والماءُ.

قال ابن شهاب الزهريّ – رحمه الله – يخاطب أخاه عبد الله:

تتبّع خبايا الأرضِ وادعُ مليكَها لعلّكَ يوماً أنْ تجاب فتُرْزقا

---

[١] يعني أنها أمنية لا تحقق إلا لقليلين.

[٢] ديوانه، وانظر: كتاب القسطاس في علم العروض للزمخشري، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والحور العين لنشوان الحميري، والحيوان للجاحظ، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده.

[٣] المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري: صحابي، من أهل مكة. سكن الكوفة مدة. وشهد فتح مصر. وتوفي بالإسكندرية.

وروى النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: "تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعُشْر في السَّابياء"[1].

لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضِّياع وعمَّروا الأرضين، كتب إليهم: لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمَها في وجهِها.

ولما بلغه أن عتبةَ بنَ غزوانَ وأصحابَه بَنَوا باللَّبِن كتب إليهم: وقد كنت أكره لكم ذلك، فإذا فعلتم فعرِّضوا الحيطان، وارفعوا السُّمك، وقاربوا بين الخشب.

باع رجل رجلاً أرضاً، فقال البائع: أما والله لقد أخذتَها شديدةَ المؤونة قليلة المعونة – يعني الأرض –. فقال المبتاع: والله لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع سريعةَ التفرق – يعني الدراهم.

قالوا إذا بعد المال عن موضع ربِّه قلَّت فوائده.

قال الشاعر[2]:

سأبغيكَ مالاً بالمدينةِ إنَّني أرى عازبَ الأموال قلَّتْ فوائدُهْ[3]

---

[1] السابياء: المواشي. والحديث أخرجه مسدد، وضعفه الألباني في: ضعيف الجامع.

[2] في: غريب الحديث، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ، وتاج العروس للزبيدي، من غير نسبة.

[3] في البيان والتبيين: فواضله.

أوصى سهل بن حنيف، أحد بني عبد الرحمن بن عوف، وكانت أمُّه أنصارية فقال له: إنك أحبّ إخوتك إليّ، وإني موصيك بوصية: اعلم أنه لا عيلة على مصلح، ولا مال مع الخَرَق، واعلم أن خير المال العقل، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال، ولكنهم جمال، واعلم أن الماشية إنما هي مال أهلها، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعتها انتفعت بها، وإلا لم ترزءك شيئاً. قال: فحفظت نصيحته، فكانت لي أنفع مما ورثت.

ذكر النخل والزّرع عند بعض الأشراف العقلاء فقال: شرينا النخل من فضول غلات الزرع، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل.

قال اللّيث بن سعد: لما افتتحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه، وقال: من هذا جمعنا هذه الأموال، نُصيب الزيتون فيأتينا أهل البحر والبر، والصحراء والرمل، يبتاعون منا الزيتون، فمن ثَمَّ كثرت أموالنا.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن العاص: "هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يسلّمك الله ويغنمك وأرغب لك رغبة صالحة"[1].

[1] رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الحاكم.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم من حديث المقداد بن معدي كرب، وهو حديث صحيح[1]، أنه قال صلّى الله عليه وسلّم: "ما أكل ابن آدم طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده، وكان داود عليه السلام يأكل من عمل يده"[2].

وكان داود عليه السلام يعمل القِفاف الخوص، وقيل كان نوح نجاراً، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلَّم.

وأجمع العلماء أنّ أشرف الكسب: الغنائم، وما أَوْجف الله عليه بالخيل والرِّكاب، إذا سلم من الغلول. وقد سمّى الله الجهاد تجارة منجية من عذابٍ أليم.

قال بعض لصوص همدان[3]:

ومن يطلبِ المالَ الممنّعَ بالقَنا يَعِشْ مُثرياً أو تخترمْهُ المخارمُ

متى تجمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً وأَنْفاً حَمِيّاً تجتنبْكَ المظالمُ

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْني غزَوْتُهم فهل أنا في ذا يا لَهمدانَ ظالمُ

---

[1] عجباً لابن عبد البر، يؤكد صحة هذا الحديث ويغفل عن غيره مما أورده من الضعيف والموضوع.

[2] رواه البخاري والألباني في: صحيح الجامع.

[3] نسبها ابن قتيبة في عيون الأخبار إلى مالك بن حريم الهمداني، ونسبها أبو تمام في الحماسة إلى ابن بَرَّاقَةَ الهَمْدَانِي.

باب التجارة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الكسب عمل اليد، وكلّ بيع مبرور"[١].

وعنه عليه السلام أنه قال: "أفضل الكسب كسب الصَّانع إذا صحّح"[٢].

وقال عليه السلام: "التجار هم الفجّار إلا من برّ وصدق"[٣].

وقال عليه السلام: "التاجر الأمين الصدوق مع الشّهداء يوم القيامة"[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: "يا معشر التجار إن بيعكم هذا يشوبه الحلف، فشوبوه بالصّدقة"[٥]. وقال صلى الله عليه وسلّم: "الجالب مرزوقٌ والمحتكر ملعون"[٦]. أو قال "مذموم".

---

[١] أخرجه أبو يعلى الموصلي في المقصد العلي وابن أبي الدنيا في إصلاح المال والطبراني في الأوسط وابن الأعرابي في معجمه والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في: صحيح الترغيب والترهيب.

[٢] صححه المنذري، والهيثمي، والألباني، وحسنه العراقي، والأرناؤوط.

[٣] صححه الحاكم، والمنذري، والهيثمي، والألباني، والأرناؤوط.

[٤] رواه الترمذي وحسَّنه. وحسنه السيوطي، والألباني.

[٥] صححه الترمذي، والألباني، والأرناؤوط.

[٦] أورده العقيلي في "كتاب الضعفاء"، وأعلَّه بعلي بن سالم. وحكم بضعفه المنذري، والذهبي، وابن الملقن، والبوصيري، وبدر الدين العيني، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي، والعجلوني، والألباني.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "تسعة أعشار الرّزق في التجارة، والعشر في السَّابياء"[١].

وقال عليه السّلام: "اللّهم بارك لأمّتي في بكورها"[٢].

وروي عنه عليه السّلام أنه قال: "مِنْ أشراط السّاعة، أن يُرفع العلم، ويُقبض المال، ويَظهر القلم، وتَكثر التجار"[٣].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "من استقاله أخوه المسلم في بيع باعه منه، فأقاله أقاله الله من عثرته يوم القيامة"[٤].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فرّقوا بين المنايا، واجعلوا الرَّأس رأسين.

وقال عمر: بع الحيوان أحسنَ ما يكون في عينك.

وقال ابن شهاب: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابيّ وهو يبيع مسوّمة فقال: "عليك بأول سَوْمة، أو بأول سَوْم، فإن الرّبح مع السَّماح"[٥].

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] صححه الألباني في: صحيح أبي داود.

[٣] صححه الألباني في: صحيح النسائي.

[٤] صححه الألباني في: صحيح الترغيب والترهيب.

[٥] أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل، والبيهقي في السنن الكبرى. وهو ضعيف، لعلة الإرسال.

قيل للزبير رحمه الله: بم بلغتَ هذا المال؟ قال: إني لم أرد ربحاً، ولم أشتر عيباً.

كان يقال: الأسواق موائد الله في الأرض، فمن أتاها أصاب منها.

قال خالد بن صفوان: في التَّجار لؤم الطبائع، وعِيّ اللّسان، وموت القلب، وسوء الأدب، وقصر الهمة، والاشتمال على كل بليّة.

اشترى أعرابيٌ جملاً فندم عليه في شرائه، فجعل يصعِّد النظر فيه، ويصوِّبه ليجد ما يتوصّل به إلى ردِّه فقال البائع: من طلب عيباً وجده.

يقال: الغُبن في شيئين، في الرَّداءة أو الغلاء، فإذا استجدت فقد سلمت من أحدهما.

قال الراجز[1]:

ما أرخصَ الغالي إذا كان حَسَنْ

وقال محمود الورَّاق[2]:

وإذا غلا شيءٌ عليَّ تركتُهُ فيكونُ أرخصَ ما يكونُ إذا غلا

قال معاوية – رحمه الله – لقوم: ما تجارتكم؟ قالوا: بيع الرقيق قال: بئس التجارة: ضمان نفس، ومئونة ضرس.

---

[1] قيل هو أبو ذؤيب الهذلي.

[2] انظر: التمثيل والمحاضرة، والمنتحل، للثعالبي.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخماً، فإن لم توافق كرماً، وافقت لحماً.

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قومٍ يحدثهم، فقال: كيف سوقكم؟ قالوا: كاسدة. قال: غششتم. قال: وكيف متاعُكم؟ قالوا: رديء قال: كذبتم. قال: وكيف كثرتُه؟ قالوا: قليل. قال: حلفتم.

كان عبد الله بن مسعود يقول: عجباً للتاجر كيف يَسلَم: إن باع مدح، وإن اشترى ذمّ.

قال سعيد بن المسيّب: إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح.

قال ابن عباس: من اشترى ما لا يحتاج إليه يوشك أن يبيع ما يحتاج إليه.

قال المغيرة بن حبناء[1]:

وما كلُّ حينٍ يصدقُ المرءَ ظنُّه ولا كلُّ أصحابِ التِّجارةِ يربحُ[2]

ولابن شهاب الزُّهري[3]:

---

[1] المغيرة بن ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وشهرته ابن الحبناء، شاعر أموي، حنظلي نسبة إلى جده حنظلة بن مالك وكان فخوراً بهذا النسب. وقد التقى في بلاد آل المهلب الشاعر زياد الأعجم، ونشبت بينهما منافسات عديدة أدّت إلى هياج الهجاء اللاذع والمرّ، هجاءٍ لم ينتصر فيه أحدهما على الآخر، إلى أن تصالحا.

[2] في: زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي، كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي، من غير نسبة.

[3] ابن شهاب الزهري القرشي أبو بكر المدني (ت ١٢٣هـ) سكن الشام. أسند أكثر من ألف حديث عن الثقات ومجموع أحاديث الزهري كلها ٢٢٠٠ حديث. نشأ فقيراً فأكب على

ألا كلُّ من يُهدى له البيعُ يُرْزقُ وقد يَصْلُحُ المالُ اليسيرُ الموفَّقُ[1]

ولمنصور الفقيه[2]:

بُنَيَّتي لا تجزعي واصبري عساكِ بصبركِ أنْ تَظْفري

فلو نال يوماً أبوكِ الغنى كساكِ الدَّبيقيَّ والتُّسْتَري[3]

ولكنْ أبوكِ ابتُلي بالعلومِ فما إنْ يبيعُ ولا يَشْتري

بابُ الرِّزق

قال الله عزَّ وجل: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الآية.

وقال: (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ).

سمع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أمَّ حبيبة تقول: اللَّهم متِّعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "دعوتِ الله لآجالٍ معلومةٍ وأرزاقٍ مقسومة"[4].

العلم، ولازم بعض صغار الصحابة وعلماء التابعين، قال أحمد بن حنبل: أصح الأسانيد الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه.

[1] في: الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين ابن مفلح.

[2] ديوانه.

[3] الدَّبِيقِيَّةُ: ثيابٌ تنْسب إلى دَبِيق، قرية بمصر. والتُّستَري: ثياب تنسب إلى تُستَر (شوشتر) بإيران.

[4] رواه مسلم، ونصه عنده: قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: قدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شيئًا قَبْلَ

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "أبى اللهُ أن يجعلَ أرزاق عباده المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون"[١].

وقال عليه السلام: "استنزلوا الرِّزق بالصدقة"[٢].

وقال عليه السلام: "ولا يحملنَّكم استبطاء الرِّزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا ينال ما عنده بما يَكْره، اتَّقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حَرُم"[٣].

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: "لا تكثر همَّك يا عبد الله، ما يقدَّر يكن، وما ترزق يأتك"[٤].

قال الشاعر[٥]:

فإنَّك ما يُقدِّرْ لكَ اللهُ تَلْقَهُ كِفاحاً وتجلبُهُ عليكَ الجوالبُ

حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شيئًا عن حِلِّهِ، ولو كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِن عَذَابٍ في النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ في القَبْرِ، كانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ.

[١] أخرجه السخاوي في: المقاصد الحسنة والبيهقي في: الشعب. وقد ضعفه الإمام أحمد. وقيل موضوع لوجود رواة وضاعين ومجاهيل فيه.

[٢] أخرجه الذهبي في: ميزان الاعتدال. وهو موضوع.

[٣] صححه الأرناؤوط، والألباني في: صحيح الترغيب، وصحيح الجامع.

[٤] رواه السيوطي في: الجامع الصغير. وهو ضعيف الإسناد، وإن كان معناه صحيحاً. وصححه آخرون صحيح لأن له شاهداً قوياً عند أبي نعيم، ورجاله ثقات، وعند البيهقي في الآداب، والقضاء والقدر.

[٥] هو لبيد، والبيت في ديوانه، ونسبه إليه القالي في البارع.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن روح القُدُس نفث في رُوعي، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقَها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"[1].

أنشد ابن أبي الدنيا[2]:

ومَن ظنَّ أنَّ الرِّزق يأتي بحيلةٍ فقد كذَبتْهُ نفسُهُ وهْو آثِمُ[3]

---

[1] حسنه الألباني في صحيح الترغيب، وصحيح الجامع.

[2] الحافظ أبو بكر، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي القرشي (٢٠٨ هـ – ٢٨١ هـ) الملقب بابن أبي الدنيا. ولد في مدينة بغداد، وهو مؤرخ ومؤدب، أدّب المعتضد العباسي وابنه المكتفي بالله.

[3] الأبيات نسبها ياقوت في معجم البلدان باب (الأحصّ) إلى الشاعر ناشي الأحصّي، في حكاية طريفة، قال: دخل الشاعر الأحصّي على سيف الدولة، فأنشده قصيدة له فيه، فاعتذر سيف الدولة بضيق اليد يومئذ، وقال له: لن يتأخر عنا حملُ المال إلينا، فإذا بلغك ذلك فأتنا لنضاعف جائزتك، ونحسن إليك. فخرج من عنده فوجد على باب سيف الدولة كلاباً تذبح لها السّخال وتطعم لحومها، فعاد إلى سيف الدولة فأنشده هذه الأبيات:

رأيت بباب داركم كلابا ... تغذّيها وتطعمها السّخالا

فما في الأرض أدبر من أديب ... يكون الكلب أحسن منه حالا

ثم اتفق أن حُمل إلى سيف الدولة أموال من بعض الجهات على بغال، فضاع منها بغل بما عليه، وهو عشرة آلاف دينار، وجاء هذا البغل حتى وقف على باب الناشي الشاعر بالأحصّ، فسمع حسّه، فظنّه لصّاً، فخرج إليه بالسلاح، فوجده بغلاً موقراً بالمال، فأخذ ما عليه من المال وأطلقه. ثم دخل حلب ودخل على سيف الدولة وأنشده قصيدة له يقول فيها:

ومن ظنّ أن الرّزق يأتي بحيلة ... فقد كذّبته نفسه، وهو آثم

يفوت الغنى من لا ينام عن السّرى ... وآخر يأتي رزقه وهو نائم

يفوتُ الغِنى مَنْ لا ينامُ عن السُّرى وآخرُ يأتي رزقُهُ وهو نائمُ
فما الفقرُ في ضعفِ احتيالٍ ولا بكدٍّ وللأرزاقِ في النَّاسِ قاسِمُ
سأصبرُ إنْ دهرٌ أناخَ بكلكلٍ وأرضى بحُكمِ اللهِ ما اللهُ حاكمُ
لقد عشتُ في ضيقٍ من الدَّهر مدَّةً وفي سَعةٍ والعِرْضُ مِنِّيَ سالمُ

وقال جعفر بن محمَّد: إني لأُمْلِقُ[1] فأتاجر اللهَ بالصدقة فأربح.

وقال عروة بن الزبير: العاقل من إذا رزق مالاً نظر فيه، فإنه لا يدري لعله يكون آخر رزقه.

ومما يروى لعليّ بن أبي طالب[2] رضي الله عنه، وفيه نظر:

لو كان في صخرةٍ في البحرِ راسيةٍ صمَّاءَ ملمومةٍ مُلسٍ نواحيها
رزقٌ لعبدٍ يراه اللهُ لانفلقتْ حتَّى يؤدَّى إليه كلُّ ما فيها
أو كان تحت طباقِ السَّبعِ مطلبُها لسهَّل اللهُ في المرقى مراقيها

فقال له سيف الدولة: بحياتي! وصل إليك المال الذي كان على البغل؟ فقال: نعم. فقال: خذه بجائزتك مباركاً لك فيه. فقيل لسيف الدولة: كيف عرفت ذلك؟ قال عرفته من قوله:

وآخر يأتي رزقه وهو نائم، بعد قوله: يكون الكلب أحسن منه حالا. وفي الدر الفريد وبيت القصيد

لمحمد بن أيدمر أنه عضد الدولة وليس سيف الدولة.

[1] أُمْلِقُ: أفتقر.

[2] الأبيات نسبها ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والتعفف إلى أعرابية. ونسب إنشادها ابن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء إلى عَبْد العزيز بْن سليمان الأبرش.

حتَّى تؤدِّي الَّذي في اللَّوحِ خُطَّ له إنْ هِيْ أتتْهُ وإلاَّ سوف يأتيها

وأنشد ابن الأعرابي:

الحمدُ للهِ ليس الرِّزقُ بالطَّلبِ ولا العطايا لذي عقلٍ ولا أدبِ
إنْ قدَّر اللهُ شيئاً أنتَ طالبُه يوماً وجدتَ إليه أقربَ السببِ
وإنْ أبى اللهُ ما تهوى فلا طلبٌ يُجدي عليك ولو حاولتَ مِنْ كَثَبِ
وقد أقولُ لنفسي وهْي ضيِّقةٌ وقد أناخ عليها الدَّهرُ بالعَجَبِ
صبراً على ضيقةِ الأيَّام إنَّ لها فتحاً وما الصَّبرُ إلاّ عند ذي الأدبِ
سيفتحُ اللهُ أبوابَ العطاءِ بما فيه لنفسِكَ راحاتٌ مِنَ التّعبِ
ولو يكونُ كلامي حين أنشرُهُ مِنَ اللُّجينِ لكان الصَّمتُ مِنْ ذَهَبِ

وقيل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم؟ قال: كما قسم بينهم أرزاقهم.

ولسريج بن يونس المحدِّث[1]:

يا طالبَ الرِّزقِ في الآفاقِ مجتهداً أتعبتَ نفسَكَ حتَّى شفَّكَ التَّعبُ
تسعى لرزقٍ كفاكَ اللهُ مُؤنتَهُ أقصِرْ فرزقُكَ لا يأتي به الطَّلبُ
كم مِنْ سخيفٍ ضعيفِ العقلِ نعرفُهُ له الولايةُ والأرزاقُ والذَّهبُ
ومِنْ حصيفٍ له عَقلٌ ومعرفةٌ بادي الخَصاصةِ لم يُعرفْ له نَشَبُ

[1] سريج بن يونس بن إبراهيم أبو الحارث المروزي ثم البغدادي. عالم مسلم ومحدِّث اشتهر بالزهد والعبادة. مات في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين ومائتين.

فاسترزقِ اللهَ مما في خزائنِهِ فاللهُ يرزقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ

وقال آخر[1]:

كم مِنْ قويٍّ قويٍّ في تقلُّبِهِ مهذَّبِ الرأيِ عنه الرِّزقُ منحرِفُ

وكم ضعيفٍ ضعيفِ الرأيِ تُبْصِرُهُ كأنه من خليجِ البحرِ يَغْتَرِفُ

أنشد أبو حاتم عن الأصمعي[2]:

يا أيُّها المضْمِرُ همَّاً لا تُهَمْ إنكَ إنْ تُقدَرْ لكَ الحُمَّى تُحَمْ

لو علوتَ شاهقاً من العَلَمْ كيف تَوَقّيكَ وقد جَفَّ القَلَمْ

قالوا: المقادير تبطل التقدير، وتنقض التدبير.

قال الشاعر[3]:

إذا عقد القضاءُ عليكَ عَقداً فليس يحلُّه إلا القضاءُ

وقال ابن المعتز:

يا مُكِلَّ العيسِ في ديمومةٍ يتْبعُ الآمالَ كالباغي المضِلْ

إنَّ مفتاحَ الذي تطلبُهُ بيدِ المقدارِ فاصبرْ واتَّكِلْ

فرغ اللهُ من الرزقِ ومِنْ مُدَّةِ العُمْرِ ومِنْ وقتِ الأجلْ

---

[1] نُسبا إلى محمد بن سابق الواعظ البزاز، مولى بني تميم، وأصله فارسي سكن الكوفة. ونسبهما أبو بكر البيهقي في كتاب مناقب الشافعي إلى سفيان بن عُيَيْنَة.

[2] انظر: اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري.

[3] منسوبة إلى علي بن أبي طالب، انظرالدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

وقال أبو العتاهية[1]:

وفدتُ إلى اللهِ في وفدِهِ لألتمسَ الرِّزقَ من عندِهِ
إذا ما قضى اللهُ أمراً مضى ولم يَقْوَ حَيٌّ على رَدِّهِ

قال المفضَّل الضَّبِّيّ: قيل لأعرابيّ من أين معاشُكم؟ قال: من أزواد الحاجّ. قلت: فإذا صدروا؟ فبكى ثم قال: لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش. ثم قال: أتفهم؟ قلت: نعم، فقال[2]:

هل الدَّهرُ إلاَّ ضِيقةٌ فتفرَّجُ وإلا جديدٌ ناضرٌ ثم ينهجُ
أرى النَّاسَ في الدُّنيا كسَفْرٍ تتابعوا على منهجٍ ثم استَقَلُّوا فأَدْلَجُوا

فقال البربري[3]:

يا أيُّها الظَّاعنُ في حظِّهِ إنَّما الظاعنُ مثلُ المقيمْ
كم من لبيبٍ عاقلٍ قُلَّبٍ مصحَّحُ الجسمِ مقلٌّ عديمْ
ومنْ جهولٍ مكثرٌ مالُه ذلك تقديرُ العزيزِ العليمْ
حظُّكَ يأتيكَ وإنْ لم تَرِمْ[1] ما ضَرَّ مَنْ يُرزَقُ ألاَّ يَرِيمْ

---

[1] في ديوانه.

[2] انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر.

[3] هو سابق البربري: شاعر من الزهاد، وهو ليس منسوباً إلى البربر وإنما لقب له. هاجر من المغرب العربي إلى بلاد الشام. وكان مهتماً برواية الحديث النبوي الشريف، واشتغل في القضاء؛ فقد كان قاضي الرقة وإماماً لمسجدها في خلافة عمر بن عبد العزيز واشتهر بالوعظ، وله أخبار في وعظ الخليفة عمر بن عبد العزيز.

كان يقال: بكِّروا في طلب الرزق، فإن النَّجاح في التبكير.

قال أبو هريرة: إذا سأل أحدُكم اللهَ الرزقَ فلينظر كيف يَسأل، فإن الله يرزق الحلال والحرام، ولكن ليقل اللَّهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني.

قالوا: الرزق رزقان: رزق لا يأتيك إلا بالتسبُّب ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب. وقلت أنا: الرزق رزقان: فرزق تطلبُه، ورزق يأتيك عفواً.

قال عروة بن أذينة أو بكر بن أذينة[٢]، وهو الصحيح:

إنِّي لأعلمُ والأقدارُ نافذةٌ أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيُعييني تطلُّبُهُ ولو قعدتُ أتاني لا يُعنِّيني

وقال آخر[٣]:

---

[١] رَامَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ فِيهِ وَاسْتَقَرَّ ولم يفارقه.

[٢] أجمعت المراجع على أنه عروة بن أذينة الليثي الكناني: تابعي جليل وشاعر غزل وفخر وشريف مقدَّم من شعراء المدينة المنورة وهو معدود في الفقهاء والمحدِّثين وأحد ثقات أصحاب حديث رسول الله، سمع من ابن عمر وروى عنه مالك بن أنس في الموطأ وعبيد الله بن عمر العدوي. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، وكتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبي، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي.

[٣] هو محمد بن هبة الله بن ثابت، أبو نصر البندنيجي: فقيه من كبار الشافعية. يُعرف بفقيه الحرم لمجاورته الحرم بمكة المكرمة نحواً عن أربعين سنة، وقد كان ضريراً. ولد أبو نصر البندنيجي ببندنيج بالقرب من بغداد سنة ٤٠٧هـ وتوفي بذي الذنبتين باليمن سنة ٤٩٥هـ. انظر: اللطائف والظرائف، والتمثيل والمحاضرة، وأحسن ما سمعت، للثعالبي، وزهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي.

توكَّل على الرَّحمنِ في كلِّ حاجةٍ ولا تؤثرنَّ العجز يوماً على الطّلبْ
ألم تر أن اللهَ قال لمريمٍ إليكِ فهزِّي الجذعَ يسَّاقطِ الرُّطبْ
ولو شاء أنْ تجنيه من غيرِ هزِّها جَنَتْهُ ولكنْ كلُّ شيءٍ له سَبَبْ

وقال آخر[1]:

ما يُغلِقُ اللهُ بابَ الرِّزقِ عن أحدٍ إلاَّ ويفتحُ دونَ البابِ أبوابا

وقال بكر بن حماد[2]:

النَّاسُ حرصى على الدُّنيا وقد فسدتْ فصَفْوُها لكَ ممزوجٌ بتكديرِ
فمِن مُكِبٍّ عليها لا تساعدُهُ وعاجزٍ نال دنياهُ بتقصيرِ
لم يدْركوها بعقلٍ عندما قُسِمَتْ وإنما أدركوها بالمقاديرِ
لو كان عن قُدرةٍ أو عن مُغالبةٍ طار البزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ[3]

وقال آخر[4]:

---

[1] نسبه محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد إلى إبرَاهيم بن عبدِ الرَّحمَن.

[2] بكر بن حماد بن سهل الزناتي التيهرتي (٢٠٠- ٢٩٦ هـ) أديب وشاعر وعالم فقيه نشأ في أحضان الدولة الرستمية (الإباضية) وانتقل عام ٢١٧هـ إلى القيروان. تنقل بعدها إلى مصر وبغداد التي عاش زمناً بها ببلاط الخليفة العباسي المعتصم بالله فمدحه ونال عنده الحظوة.

[3] الأبيات في: عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي، منسوبة إلى علي بن أبي طالب.

[4] هو إبراهيم بن المهدي أخو هارون الرشيد. أشهر أولاد الخلفاء في الغناء ومن أعلم الناس في ذاك الوقت بالنغم والإيقاع. انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة، وأنس المسجون وراحة المحزون لصفي الدين الحلبي.

قد يُرزَقُ المرءُ لم تتعبْ رواحلُهُ ويُحْرَمُ الرِّزقَ من لم يُؤتَ من تعبِ
وإنني واجدٌ في النَّاسِ واحدةً الرِّزقُ أروغُ شيءٍ عن ذوي الأدبِ

ولعلي بن هشام[1]:

المرءُ يسعى ويسعى الرِّزقُ يطلُبُهُ وربّما اختلفا في السَّعيِ والطَلَبِ
حتَّى إذا قدَّرَ الرَّحمنُ جمعَهما للاتّفاقِ أتاك الرزقُ عن كَثَبِ

وقال آخر[2]:

يخيبُ الفتى من حيث يُرْزَقُ غيرُهُ ويُعْطى الفتى من حيثُ يُحرَمُ

قال بعض الحكماء: الحلال يقطر قطراً والحرام يسيل سيلاً.

قال الغزال[4]:

---

[1] وجدت أربعة شعراء كل منهم علي بن هشام ولم أعرف أيهم المقصود. والبيتان في: رسائل الثعالبي.

[2] في: البيان والتبيين، وعيون الأخبار، من غير نسبة. ونسبه الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء إلى أبي الشيص الخزاعي: (١٣٠-١٩٦هـ) شاعر عباسي مولّد مشهور، ولُقّب الشاعر بأبي الشَّيْص فغلب عليه، والشيص: رديء التمر (عديم النوى)، فارسي معرب، وهو ابن عم الشاعر دعبل بن علي الخزاعي.

[3] في: البيان والتبيين، وعيون الأخبار، من غير نسبة.

[4] يحيى بن الحكم البكري الجياني (١٥٦هـ - ٢٥٠ هـ) الشهير بلقب بالغزال، شاعر أندلسي عاصر خمس أمراء للدولة الأموية في الأندلس، وبرع في شعر الغزل والحكمة. وقد سمي بالغزال لجماله وظرفه وتأنقه. تأثر يحيى الغزال بشعر أبي نواس وأبي تمام. كما كان على دراية ببعض علم الفلك والتنجيم. والرجز في ديوانه.

طالبُ الرِّزقِ الحلالِ لا يَقَرْ نهارُهُ وليلُهُ على سُفَرْ
في الحرِّ والبردِ وأوقاتِ المطرْ ومالُهُ في ذاك نَزْرٌ محتَقَرْ
إنّ الحلالَ وحدَهُ لا يختمِرْ أين تَرَى مالاً حلالاً قد ثَمَرْ
ما إنْ رأينا صافياً منه كَثُرْ

قال الناشئ[1]:

إذا المرءُ أحمى نفسَه كلَّ شهوةٍ لصحَّةِ أيّامٍ تبيدُ وتنفَدُ
فما بالُهُ لا يَحْتمي عن حرامِها لصحّةِ ما يبقى له ويخلَّدُ

وقال آخر[2]:

إنَّ الحرامَ غزيرةٌ حَلَباتُهُ ووجدتُ حالِبةَ الحلالِ نَزورا

قال أكثم بن صيفي[3]: من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر.

---

[1] عبد الله بن محمد (ت ٢٩٣هـ) ويُلقَّب بالناشئ الأكبر: كاتب وأديب وشاعر ولغوي عاش في العصر العباسي الأوَّل. وشعره كثير جيِّد النظم، وهو في طبقة ابن الرومي والبحتري. انظر: اعتلال القلوب للخرائطي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وكتاب الخامس من الوخشيات للوخشي.

[2] البيت في تعليق من الأمالي لابن دريد، وعيون الأخبار لابن قتيبة، من غير نسبة. ونسبه محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد إلى الحيص بيص، وفيه: مَصورا بدل نَزورا، وهما بمعنى.

[3] أكثم بن صيفي بن رباح الأسيدي العمروي التميمي أشهر حكام العرب في الجاهلية على الإطلاق وأحد المعمَّرين فيها وكان يلقب حكيم العرب. كان أكثم سيداً من سادات العرب شريفاً حكيما وفارساً شجاعاً، ومستشاراً خبيراً، أشار على قومه بني تميم في يوم الكلاب الثاني

قال منصور الفقيه[1]:

أرزاقُنا مقسومةٌ وهكذا آجالُنا فما تحول بينَنا وبينَها أحوالُنا

وله أيضاً[2]:

ما ضيّعَ اللهُ خلقاً فأتَّقي أنْ أَضيعا
اللهُ يرزقُ مَنْ لا يُطيعُهُ والمطيعا
فاجعلْ سكوتَكَ للهِ ونجواكَ جميعا
وكلُّ بُؤسَى ونُعمَى سَيَفْنيانِ سريعا

وقال آخر[3]:

يا ربَّما جاءني ما لا أؤمِّلُهُ وربَّما خاب مأمولٌ ومنتَظرُ
لو زاد في الرزقِ حرصٌ أو مطالبةٌ ما كان من قد يطيلُ الكدَّ يفتقرُ

ولأبي يعقوب إسحاق بن حسَّان الخريمي[4]:

أقلِّي عليَّ اللَّوم يا أمَّ مالكٍ فلم يُؤتَ مِنْ حرصٍ على المالِ طالبُهُ
فواللهِ ما قصَّرتُ في وجهِ مطلبٍ أرى أنَّ فيه مطلباً فأطالبُهُ

فانتصروا نصراً كبيراً على مذحج وحلفائها من أهل اليمن وشارك في الغارات والمعارك والأيام مع قومه.

[1] في ديوانه.

[2] في ديوانه.

[3] لم أجده.

[4] سبقت ترجمته. والأبيات في ديوانه.

ولكنْ لهذا الرزقِ وقتٌ موقَّتٌ يقسِّمه بين البريَّةِ واهبُهُ
وأسهرني طولُ التَّفكُّرِ إنَّني عجبتُ لأمرٍ ما تُقَضَّى عجائبُهُ
أرى فاجراً يُدعى جليداً لظلمِهِ ولو كلِّفَ التَّقوى لكلَّتْ مضاربُهُ
وعَفاًّ يُسمَّى عاجزاً لعفافِهِ ولولا التُّقى ما أعجزتْهُ مذاهبُهُ
وأحمقَ مصنوعاً له في أمورِهِ يُسوِّدُهُ إخوانُهُ وأقاربُهُ
على غير حزمٍ في الأمورِ ولا تقىً ولا نائلٍ جزلٍ تعدُّ مواهبُهُ
فليس لعجزِ المرءِ أخطأهُ الغنى ولا باحتيالٍ أدركَ المالَ كاسبُهُ
ولكنَّه قبْضُ الإلهِ وبسْطُهُ فمَنْ ذا يُجاريهِ ومَنْ ذا يُغالبُهُ

قال عليّ بن سليمان الأخفش[1]:

قد يُرزق الخافضُ المقيمُ وما شَدَّ بعَنْسٍ رَحْلاً ولا قَتَبا
ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطيَّةِ والرَّ حلِ ومن لا يزالُ مُغْتربا

وقال محمود الوراق[2]:

قيامةُ مَنْ مات في موتِهِ وإحمالُ ما شاع من صوتِهِ
ترى المرءَ يجزعُ من فوتِ ما لعلَّ السَّلامة في فوتِهِ
ويَفْنى ولم تفنَ آمالُهُ وإعمالُ سوف إلى ليْتِهِ

---

[1] البيتان للحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو، كما في شرح الحماسة للتبريزي، وشرح الفارسي، ولسان العرب ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي.

[2] في ديوانه.

وكم أزعج[1] الحرصُ من راغبٍ إلى الصِّين والرِّزقُ في بيتِهِ

ولأبي الأسود الدؤلي أو العرزمي[2]:

وعجبتُ للدُّنيا وحِرفةِ أهلِها والرِّزقُ فيما بينهمْ مقسومُ

والأحمقُ المرزوقُ أعجبُ ما أرى من أهلِها والعاجزُ المحزومُ

ثم انقضى عَجَبي لعِلْمي أنَّه رزقٌ موافٍ وقتُهُ معلومُ

وقال آخر[3]:

ليس بالعقلِ يطلبُ المرءُ رزقاً كم رأينا من أحمقٍ مرزوقِ

وأصيلٍ من الرجالِ نبيلٍ سَدَّ عنه الحرمانُ كلَّ طريقِ

وقال آخر[4]:

الرّزقُ يأتي قدراً على مهلْ والمرءُ مطبوعٌ على حبِّ العجلْ

وقال آخر[5]:

يا راكبَ الهولِ والآفاتِ والهلَكَهْ لا تعجلنَّ فليس الرِّزقُ بالحركَهْ

---

[1] أزعجه: دفعه وحرَّكه.

[2] في ديوان أبي الأسود، أوردها السكري في الجزء المشكوك نسبته إلى أبي الأسود، ونسبها إليه البغدادي في خزانة الأدب.

[3] نسبهما أبو طاهر السِّلَفي في كتاب الخامس والعشرون من المشيخة البغدادية إلى ابن أبي طاهر.

[4] في البيان والتبيين من غير نسبة.

[5] نسبها ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى منصور الفقيه.

مَنْ غيرُ ربِّكَ في السَّبعِ العلى مَلِكاً ومَنْ أدار على أرجائها فَلَكَهْ
أما ترى البحرَ والصَّيَّادُ تضربُهُ أمواجُهُ ونجومُ اللَّيلِ مشتبكَهْ
يجرُّ أذيالَه والموجُ يلطمُهُ وعينُه لم تزلْ في كلكلِ الشبكهْ[1]
حتَّى إذا راح مسروراً بها فرحاً والحوتُ قد شكَّ سَفُّودُ الرَّدى حَنَكَهْ
أتى إليكَ به رزقاً بلا تعبٍ فصرتَ تملكُ منه مثلَ ما ملَكَهْ
لطفاً من اللهِ يعطي ذا بحيلتِهِ هذا يصيدُ وهذا يأكلُ السَّمَكَهْ

وقال أبو العتاهية[2]:

طال همِّي بغيرِ ما يَعْنيني وطِلابي فوق الَّذي يكفيني
ولو اني كففتُ لم أبغِ رزقي كان رزقي هو الذي يبغيني
أحمدُ اللهَ ذا المعارجِ شكراً ما عليها إلاَّ ضعيفُ اليقينِ

وقال آخر[3]:

---

[1] في الأصل اضطراب في الكلام، والتغيير من (تكملة المعاجم العربية للمستشرق دوزي) وقال: كلكل الشبكة: انتفاخها حينما تلقى في الماء. وزاد قائلاً (هذا هو، على وجه التقريب، الأثر الذي تحدثه الشبكة في الماء: فهي تنتفخ وتتضخم؛ وهذا ما يطلق عليه الشاعر اسم الكلكل).

[2] في ديوانه.

[3] في كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ، والفرج بعد الشدة للتنوخي، بغير نسبة، ونسبها ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى علي بن الجهم: شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات.

لعمرُكَ ما كلُّ التعطُّلِ ضائرٌ ولا كلُّ شُغلٍ فيه للمرءِ منفعَهْ
إذا كانتِ الأرزاقُ في القربِ والنَّوى عليكَ سواءً فاغتنمْ لذَّةَ الدَّعَهْ
وإنْ ضقتَ فاصبرْ يكشفِ اللهُ ما تَرَى فيا رُبَّ ضيقٍ في جوانبِهِ سَعَهْ

وقال آخر:

هوِّن عليكَ فإنَّ الأمرَ مقدورُ وكلُّ شيءٍ من الأشياءِ مسطورُ
والرِّزقُ والخَلْقُ والآجالُ قد قُسِمتْ وأحكمتْها وزمَّتْها المقاديرُ
فليس يَقْدِرُ مرءٌ صرفَ واحدةٍ منها ولو كثرتْ منه التَّدابيرُ
كم مَنْ رأيناه ذا مالٍ وذا سَعَةٍ وذا غَضارةِ عيشٍ وهو محبورُ
لا يعرفُ اللهَ جهلاً خاطئاً حمقاً لولا غِناه لعافتْهُ الخنازيرُ
لم يركبِ الهولَ في قفرٍ ولا لججٍ ولا تكلَّفَ أمراً فيه تغييرُ
لكن أتاه الغِنى حتَّى أناخ به وما تقدَّم منه فيه تفكيرُ
وآخرٌ رجلٌ ناهيكَ من رجلٍ علاَّمةٌ بأمورِ النَّاسِ نِحريرُ
قد جال في الأرضِ حتَّى لم يَدَعْ أُفقاً شرقاً وغرباً وما في ذاكَ تقصيرُ
وقد تكمَّلتِ الآدابُ واجتمعتْ فيه العلومُ وما تحوي القماطيرُ
ولم تفتْهُ من الأشياءِ واحدةٌ يحظى بها رجلٌ إلاَّ الدَّنانيرُ

كان يقال: إذا لم يرزق الإنسان ببلدة فليتحوَّل إلى أخرى.

قال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: بلغني أنَّ عمر بن الخطاب قال: من كان له رزقٌ في شيء فليلزمه.

وقال مالك: سمعت أهل مكَّة يقولون: ما من أهل بيتٍ فيهم اسم محمَّدٍ إلا رزقوا ورزق خيراً.

قال العكّي[1]:

يا ربَّ فتيانٍ ذوي غربةٍ ... أبناءِ أسفارِ مُقلِّينا
ما أدركوا في طولِ تطوافِهم ... خَفْضاً من العيش ولا لِينا
وسهَّلَ اللهُ بتوفيقِهِ ... ما أمَّلوه للمقيمينا
وإذا الأرزاقُ مقسومةٌ ... يقسمها الله فيعطينا

ولسهل الورَّاق[2]:

أرى اثنين في الدنيا وشتَّانَ ما هما ... وما منهما إلاَّ عجيبٌ شؤونُهُ
أخو حركاتٍ في المكاسبِ معدمٌ ... على أنَّه فيها قليلٌ سكونُهُ
وآخَرُ مُثْرٍ ذو سكونٍ كأنَّما ... على رزقِهِ ذاك السُّكونُ يعينُهُ
ألا ربَّما يأسى اللبيبُ لما يرى ... ويكمدُ حتَّى تستهلَّ جفونُهُ
كريمٌ جفاه دهرُهُ فهو ضائعٌ ... ولا ريبَ إلاَّ أنَّ دهراً يخونُهُ
ووغدٌ لئيمُ الطَّبعِ تحوي يمينُه ... مكاسبَ ما خفتْ بهنَّ يمينُهُ
فذاكَ على إقتارِهِ ذو تجمّلٍ ... وذا مقرفٌ جعدُ البنانِ ضنينُهُ

---

[1] سعيد بن عمر العكي المغربي (القرن الثالث الهجري): شاعر من ولاة الأعمال. قيل كَانَ شاعراً مُفلِقاً محسناً، وَلَهُ شعر كثير وقصائد شريفة وأشعار نادرة وَكَانَ مشهوراً معدوداً فِي أيّام مؤمن (ابن سعيد) وأبي فرناس (عباس بن فرناس). ولاّه عبد الله بن محمّد الأمير بعض الكُوَر، وَكَانَ من أظرف الناس وأملحهم فِي النوادر والمضحكات. ولم أعثر على ديوانه.

[2] لم أعثر عليها.

إذا غاص في ذا مُفْكِرٌ طاش عقلُهُ ولم يدرِ ما أسبابُهُ وفنونُهُ
جدودٌ وفيها للمفكِّرِ عِبرةٌ طويلٌ بها وسواسُهُ وشجونُهُ
ولولا اعتصامُ المرءِ بالعلمِ إنه نجاةٌ لأهليه لساءتْ ظنونُهُ
وما كان ربِّي عزَّ ربِّي بجائرٍ ولكنَّه عِلْمٌ عجيبٌ يصونُهُ
شهدتُ بأنَّ اللهَ عدلٌ قضاؤهُ وإني بدينِ الموقنينَ أدينُهُ

وقال آخر[1]:

وقد يحرم الله الفتى وهو عاقلٌ ويعطي الفتى مالاً وليس بذي عقلِ
وذلك عدلٌ من حكومةِ ربِّنا يجودُ ويعطي وهْو ذو النائلِ الجزلِ

وقال آخر[2]:

لا تعذُلي لم أُقصِّرْ ويكِ في الطّلبِ أيَّ البلادِ وأيَّ الأرضِ لم أَجُبِ
هذا وفيَّ خلالٌ كلُّها سببٌ إلى الغنى غيرَ أنَّ الرِّزقَ لم يُجبِ
واللهَ أحمدُ في رزقي فما صَرَفَتْ عنِّي المكاسبَ إلاَّ حِرفةُ الأدبِ

---

١ نسب البيت ابن حجر العسقلاني في كتاب تعجيل المنفعة إلى سُلَيْمَان بن قَتَّة التَّيْمِيّ مَوْلَاهُم الْبَصْرِيّ، المقْرِئُ، وفي ترجمته أنه كان مِنْ فُحُوْلِ الشُّعَرَاءِ. عَرَضَ خَتْمَةً عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ. وَسَمِعَ مِنْ مُعَاوِيَةَ، وَعَمْرِو بنِ العَاصِ. وَقَرَأَ عَلَيْهِ عَاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ. وَحَدَّثَ عَنْهُ مُوْسَى بنُ أَبِي عَائِشَةَ، وَحُمَيْدٌ الطَّوِيْلُ، وَأَبَانُ بنُ أَبِي عَيَّاشٍ. وَثَّقَهُ ابْنُ مَعِيْنٍ. وَقَتَّةُ: هِيَ أُمُّهُ.

٢ قال عنه ابن داود الظاهري في كتابه الزهرة: أنشدني بعض أهل الأدب.

وقال الوليد بن عبيد البحتريّ[1]:

وآيسني علمي بألا تقدُّمي مُفيدي ولا مُزْرٍ عليَّ تأخُّري

ولو فاتني المقدورُ مما أرومُهُ بسعيٍ لأدركتُ الذي لم يقدَّرِ[2]

باب الحرص والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة.

كان يقال: شدة الحرص من سبل المتالف.

وقال الأحنف: آفة الحرص الحرمان، ولا ينال الحريص إلاّ حظَّه.

كان الحسن البصريّ يقول: ما بَعُدَ أملٌ إلاّ مُلَّ عملٌ.

كان يقال: من أطال الأمل أمات العمل.

قال بعض الحكماء: الإنسان لا ينفكُّ من الأمل، فإن فاته الأمل قوي على المنى.

قال: والأمل يقع بسبب، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه.

من كلام الحكماء: الرزق مقسوم، والحريص محرومٌ، والحسود مغمومٌ، والبخيل مذموم.

---

١ البُحْتُري (٢٠٤ – ٢٨٠ هـ): أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي. يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشهر أبناء عصرهم، المتنبي وأبي تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري.

٢ انظر: ديوانه، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي.

قال الخليل بن أحمد[1]:

الحرصُ من شرِّ أُذاةِ الفتى ... لا خيرَ في الحرصِ على حالِ

من بات محتاجاً إلى أهلِهِ ... هان على ابنِ العمِّ والخالِ

وقال غيره: الحرص مفسدة، والبخل مبغَضَة، والعجلة خطأ، والرفق يُمْن، والبذاء شؤم.

وقال آخر[2]:

أيُّها الدَّائبُ الحريصُ الْمُعَنَّى ... لك رزقٌ وسوف تستوفيهِ

فاسألِ اللهَ وحدَه ودعِ النّا ... سَ وأَسْخِطْهم بما يُرضيهِ

لا ينالُ الحريصُ شيئاً فيكفيـ ... ـه وإنْ كان فوقَ ما يكفيهِ

وقال محمود الوراق[3]:

غِنى النَّفسِ يُغنيها إذا كنتَ قانعاً ... وليس بمغنيكَ الكثيرُ مع الحرْصِ

وإنَّ اعتقادَ الهمِّ للخيرِ جامعٌ ... وقلَّةُ همِّ المرءِ تدعو إلى النقْصِ

وقال أيضاً[4]:

لا تحمدنَّ أخا حرصٍ على سَعَةٍ ... وانظرْ إليه بعينِ الماقتِ القالي

---

[1] انظر: كتاب البخلاء للخطيب البغدادي.

[2] في عيون الأخبار، والمجالسة، لابن قتيبة، من غير نسبة.

[3] في العقد الفريد لابن عبد ربه.

[4] انظر: ذم الدنيا، والزهد، لابن أبي الدنيا.

إنّ الحريصَ لمشغولٌ بشِقْوتِهِ عنِ السُّرورِ بما يحوي من المالِ

وقال محمود الوراق أيضاً[1]:

علامَ يشقى الحريصُ في طلب الرِّز قِ بطولِ الرَّواحِ والدَّلَجِ
يا قارعَ البابِ رُبَّ مجتهدٍ قد أدمنَ القرعَ ثم لم يَلِجِ
وربَّ مستولجٍ على مَهَلٍ لم يشقَ من قرعِهِ ولم يَهِجِ
فاطْوِي على الهمِّ كشحَ مصطَبِرٍ فآخِرُ الهَمِّ أولُ الفَرَجِ

وقال آخر[2]:

يا أيها النَّاسُ كان لي أملٌ أعجلني عن بلوغِهِ الأجلُ
فليتَّقِ اللهَ ربَّه رجلٌ أمكنَه في حياتِهِ العملُ

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل[3]:

وبالِغُ أمرٍ كان يأملُ دونَه ومختلَجٍ من دونِ ما كان يأملُ

وكان يتمثل أيضاً[4]:

---

[1] انظر: كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي، وشرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي.

[2] نسبهما ابن خلكان في وفيات الأعيان إلى الزمخشري، ومعهما بيت ثالث مكتوبة على قبره:

أنا وحدي نقلت حيث ترى ... كلٌّ إلى ما نُقلت ينتقلُ

[3] البيت للجراح الهمداني: الجرّاح بن عمرو الهَمداني. أحد شعراء همدان وحكمائها في الجاهلية، في شعره كثير من المعاني الإسلامية مثل الإيمان بالقضاء والقدر. انظر: كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وكتاب حماسة البحتري، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني.

[4] قال أبو عبد الله بن الأخرم: سَمِعت الْحسن بن سُفْيَان يَقُول: أنشدنا أَبُو الْعَتَاهِيَة:

لا يغرَّنْكَ عِشاءٌ ساكنٌ قد يوافي بالمنيَّاتِ السَّحَرْ

كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية:

تعالى اللهُ يا سَلْمُ بنُ عمرٍو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرِّجالِ

أخذه أبو الفتح الملقب بكشاجم فقال:

بالحرصِ في الرِّزقِ يذلُّ الفتى وفي القُنوعِ الشَّرفُ الشَّامخُ

قال أبو عمر: وشعر أبي العتاهية الذي فيه هذا البيت الذي أعجب المأمون[1]:

نعى نفسي إليَّ من اللَّيالي تصرُّفُهنَّ حالاً بعد حالِ

فما لي لستُ مشغولاً بنفسي وما لي لا أخاف الموتَ ما لي؟

لقد أيقنتُ أنِّي غيرُ باقٍ ولكنِّي أراني لا أبالي

تعالى اللهُ يا سلمَ بنَ عمرٍو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرِّجالِ

هبِ الدُّنيا تُساق إليك عفواً أليس مصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

فما ترجو بشيءٍ ليس يبقى وشيكاً ما تغيِّرُهُ اللَّيالي

قال: فلما بلغ سَلْماً الخاسرَ قولُ أبي العتاهية، قال:

ما أقبحَ التَّزهيدَ من واعظٍ يزهِّدُ النَّاسَ ولا يزهدُ

(لَا يغرنك عشَاء سَاكن ... قد يوافي بالمنيات سَحَرْ) انظر: كتاب التعازي لأبي الحسن المدائني، وكتاب تفسير الثعلبي.

[1] الأبيات في: ديوانه، وفي طبقات الشعراء لابن المعتز منسوبة لأبي العتاهية.

لو كان في تزهيدِه صادقاً أَضحى وأمسى بيتُهُ المسجدُ
إنْ رَفَضَ الدنيا فما بالُه يكتنزُ المالَ ويسترفِدُ
يخاف أنْ تنفَدَ أرزاقُهُ والرزقُ عندَ اللهِ لا ينفَدُ
الرزقُ مقسومٌ على من ترى يسعى له الأبيضُ والأسودُ

ولأبي العتاهية شعر في عروض شعره هذا وقافيته أوله[1]:

أتدري أيَّ ذلٍّ في السُّؤالِ وفي بذلِ الوجوهِ إلى الرِّجالِ

شعر حسن جيد في معناه قد ذكرته في باب القناعة من هذا الكتاب.

قال زياد بن أبي سفيان: اثنان يتعجلان النَّصَبَ ولا يظفران بالبُغية: الحريص في حرصه، ومعلِّم البليد ينبو عنه فهمه.

قال داود الطائي: يابن آدم ارتحلك الحرصُ فأنساك أجلك، ونصب لك أملك، وربَّ حريص محروم، وواجد مذموم.

قال مسلم بن قتيبة: في إفراط الحرص مذلّة قبل إدراك الطِّلْبة.

كانوا يقولون: أول دناءة الحرص تأميل البخل.

قال محمود الوراق[2]:

أراكَ يزيدُكَ الإثراءُ حِرصاً على الدُّنيا كأنَّكَ لا تموتُ

---

[1] في ديوانه، وفي التمهيد لابن عبدالبر، وذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن علي بن آدم الأثيوبي.

[2] انظر: أمالي ابن بشران، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، وإحياء علوم الدين للغزالي.

فهل لكَ غايةٌ إن صِرتَ يوماً إليها قلتَ حسبي قد رضيتُ

وقال آخر[1]:

الحرصُ داءٌ قد أضرَّ بمن ترى إلاَّ قليلا
كم من عزيزٍ قد رأيـ ـتَ الحرصُ صيَّرَهُ ذَليلا
فتجنَّبِ الشَّهواتِ واحـ ـذرْ أن تكونَ لها قتيلا
فلربَّ شهوةِ ساعةٍ قد أورثتْ حُزْناً طَويلا

وقال آخر[2]:

كمْ إلى كمْ أنت للحِرْ صِ وللآمالِ عبدُ
ليس يُجدي الحرصُ والشُّغـ ـلُ إذا لم يكُ جِدُّ
ما لما قد قدّرَ اللّـ ـهُ مِنَ الأمرِ مَرَدُّ

وقال محمود الوراق[3]:

لا ينفع الجِدُّ والتَّشميرُ والحذَرُ خُطَّ الكتابُ فلا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
تستعجلُ النَّفسُ آمالاً لتَبْلغَها كأنَّها لا تَرَى ما يَصْنعُ القَدَرُ

---

[1] هو أبو العتاهية. انظر: أمالي ابن بشران، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني.

[2] هو محمد بن حازم الباهلي: شاعر مطبوع، كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي. ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها. انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، وشرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي.

[3] في ديوانه.

وقال آخر[1]:

كلُّنا نأملُ مَدّاً في الأجلْ والمنايا هنَّ آفاتُ الأملْ

وقال آخر[2]:

لقد غرَّتِ الدُّنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلةٍ ما بعدَها مُتَحَوَّلُ

فساخِطُ أمرٍ لا يُبَدَّلُ غيرَهُ وراضٍ بعيشٍ غيرَهُ سيبدَّلُ

وبالغُ أمرٍ كان يأملُ غيرَهُ ومختلَجٍ مِنْ دونِ ما كان يأملُ[3]

وقال محمود الوراق[4]:

الحرصُ عونٌ للزّمانِ على الفتى والصَّبرُ نعمَ العونِ للأزمانِ

لا تخضعنَّ فإنّ دهرَكَ إن رأى منكَ الخضوعَ أمدَّه بهوانِ

---

[1] هو أبو العتاهية. انظر: البيان والتبيين، والحيوان، للجاحظ، وتهذيب الكمال للذهبي، وتهذيب الكمال للمزي.

[2] هو قطرب: أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد البصري (ت ٢٠٦ هـ) أحد من اختلف إلى سيبويه وتعلم منه، وكان يدلج إليه، وإذا خرج رآه على بابه غدوة وعشية، فقال له: ما أنت إلا قطرب ليل! فلقب به. والقطرب دويبة تدبّ ولا تفتر. واشتهر بكتابه مثلثات قطرب.

[3] الأبيات في: كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، من غير نسبة. ونسبها ياقوت الحموي في معجم الأدباء إلى قطرب.

[4] البيتان في: البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وروضة العقلاء لابن حبان، من غير نسبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "احرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإياك واللّو، فإن اللَّوَّ يفتح عمل الشيطان"[1].

ولأبي عبد الله الصُّوري[2]:

لما رأيتُ النَّاسَ قد أصبحوا وهِمَّةُ الإنسانِ ما يجمعُ
قنعتُ بالقوتِ فنلتُ المنى والفاضلُ العاقلُ من يقنعُ
ولم أنافسْ في طِلابِ الغِنى عِلماً بأنَّ الحرصَ لا ينفعُ

ولبكر بن حمَّاد[3]:

الناسُ حرصى على الدُّنيا وقد فسدتْ فصفوُها لكَ ممزوجٌ بتكديرِ[4]

في أبيات ذكرتها في باب "ذكر الدُّنيا" من هذا الكتاب.

---

[1] رواه مسلم.

[2] الصوري (٣٧٦ - ٤٤١ هـ) محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن رحيم الشامي الساحلي، أبو عبد الله الصوري. حافظ من أهل صور (بلبنان) رحل في طلب الحديث إلى الآفاق، وسمع بالكوفة من أربعمائة شيخ. وأكثر عن المصريين والشاميين واستوطن بغداد سنة ٤١٨، وتوفي بها. وترك كتبه ١٤ عِدلاً عند أخته.

[3] سبقت ترجمته.

[4] انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية لشمس الدين بن مفلح، وعقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري

باب الطَّمع واليأس

كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يستعيذ بالله من طمعٍ في غير مطمع، ومن طَمَعٍ يقود إلى طَبَع[1].

قال عمر بن الخطاب: ما شيء أذهبُ لعقول الرجال من الطمع.

وفي حديث آخر أن عمرَ وابنَ الزبير قالا لكعب: ما يُذهب العلمَ من صدور الرجال بعد أن علموه؟ قال: الطمع، وطلب الحاجات إلى الناس.

وقال كعب: الصَّفا الزَّلَّال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء: الطمع.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: في اليأس الغنى، وفي الطمع الفقر، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

قال عمرو بن عبيد: في المؤمن ثلاث خلال: يسمع الكلمة التي تؤذيه فيضرب عنها صفحاً كأن لم يسمعها، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه، ويقطع أسباب الطمع من الخلق.

قال أبو العتاهية[2]:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتْني ولو أنِّي قنعتُ لكنتُ حرّا

ولإسحاق الموصلي[3]:

---

[1] أخرجه البزار في مسنده، والطبراني في الكبير بإسناد حسن. ومعنى الطَّبَعُ: الشَّيْنُ والعَيْبُ.

[2] البيت أورده الذهبي في كتاب تاريخ الإسلام إلى ونسبه الحلاج مع بيت آخر.

[3] إسحاق بن إبراهيم الموصلي المعروف بابن النّديم الموصلي. نادم الرّشيد والمأمون والمعتصم والواثق. تفرّد بالغناء وصناعته، وكان عالما باللّغة والموسيقى والتّاريخ وعلوم الدّين وعلم الكلام؛

اللُّؤمُ والذُّلُّ والضَّراعةُ والفا قةُ في أصلِ أذْنِ مَنْ طَمَعا[1]

قال ابن المبارك[2] رضي الله عنه:

ما الذلُّ إلاّ في الطَّمَعْ

وقال غيره[3]:

ويحَ من غرّهُ الطمَعْ وتمادى به الولَعْ

وقال أبو العتاهية[4]:

أذلَّ الحرصُ والطَّمعُ الرِّقابا

وله أيضاً[5]:

إنّ المطامعَ ما علمتَ مذلَّةٌ للطّامعين وأين من لا يطمعُ

وقال محمود الوراق[6]:

وما زلتُ أسمعُ أنَّ النُّفوسَ مصارعُها بين أيدي الطَّمعْ

راويًا للشّعر، حافظًا للأخبار. وكان بالإضافة إلى حسن صوته وغنائه ينظم الشعر وله نظم جيد.

[1] في كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري، من غير نسبة.

[2] عبد الله بن المبارك المروزي (١١٨ –١٨١ هـ) عالم وإمام مجاهد مجتهد في شتى العلوم الدينية والدنيوية.

[3] لم أجده.

[4] ديوانه، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي. وتكملة البيت: وَقَد يَعفو الكَريمُ إِذا اِستَرابا

[5] من قصيدته التي مطلعها: أَجَلُ الفَتى مِمّا يُؤَمِّلُ أَسرَعُ وَأَراهُ يَجمَعُ دائِباً لا يَشبَعُ

[6] انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري.

وقال بعض الحكماء: قلوب الجُّهال تُستعبد بالأطماع، وتُسترقُّ بالمنى، وتُنال بالخدائع.

قال محمد بن أبي حازم[1]:

جعلتُ غنيمةَ الأطماعِ يأساً فآوتني إلى كَنَفٍ وديعِ
فتلكَ مطيَّةُ الإقبالِ غُفلاً بلا رَحْلٍ يُشَدُّ ولا نُسوعِ[2]

وقال آخر[3]:

اليأس عمَّا بأيدي الناس مكرمةٌ والرِّزقُ يصحب والأرزاقُ تتَّسعُ
لا تجزعنَّ على ما فات مطلبُهُ ها قد جزعتَ فماذا ينفعُ الجزعُ
إنَّ السَّعادةَ يأسٌ إن ظفرتَ به بعضُ المراد وإنَّ الشَّقوةَ الطمعُ

أتى رجلٌ إلى خالد بن عبد الله القسريّ، فقال: أتكلم بجرأة اليأس، أم بهيبة الأمل؟ قال بل بهيبة الأمل. فسأله حاجةً فقضاها.

وقال الهمداني[4]:

فلا الحرصُ يغنيني ولا اليأسُ مانعي نصيبي من الشَّيء الَّذي أنا آملُهْ[1]

---

[1] لعله محمد بن حازم بن عمرو الباهلي. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة. وهو من شعراء الدولة العباسية، شاعر مطبوع.

[2] النسوع: جمع نِسْعُ: سيرٌ عريضٌ طويلٌ تشدُّ به الحقائب أَو الرِّحال أَو نحوها.

[3] انظر: أنس المسجون وراحة المحزون لصفي الدين الحلبي.

[4] الجَرّاح بن عمرو الهَمداني. أحد شعراء همدان وحكمائها في الجاهلية، في شعره كثير من المعاني الإسلامية مثل الإيمان بالقضاء والقدر.

وقال محمود الوراق[٢]:

حدَّثْتُ باليأسِ عنكَ النَّفسَ فانصَرَفَتْ ... واليأسُ أحمدُ مَرْجوٍّ مِنَ الطَّمَعِ

فكن على ثقةٍ أنِّي على ثقةٍ ... ألاَّ أعلِّلَ نفسي منكَ بالخُدَعِ

محوتُ ذكرَكَ من قلبي ومن أذني ... ومن لساني فصِلْ إنْ شئتَ أو فَدَعِ

إنَّ الذي ببلادِ الصِّين أقربُ لي ... وساء مُنْتَجَعاً لو رمتُ مُنْتَجَعي

إذا تباعد قلبي عنكَ مُنْصرِفاً ... فليس يُدْنيكَ منِّي أنْ تكونَ معي

وقال آخر[٣]:

ولا تُلبِثُ الأطماعُ مَنْ ليس عندَهُ ... مِنَ الدِّينِ شيءٌ أنْ تميلَ به النّفسُ

كان بشر بن الحارث ينشد هذه الأبيات كثيراً متمثلاً بها[٤]:

المرءُ يُزري بلبِّهِ طَمَعُهْ ... والدَّهرُ فاعلمْ كثيرةٌ خُدَعُهْ

والنَّاسُ إخوانُ كلِّ ذي نَشَبٍ ... قد جاع عبدٌ إليهم ضَرَعُهْ

وكلُّ من كان مسلِماً ورِعاً ... يشغلُهُ عن عيوبِهم ورعُهْ

كما المريضُ السَّقيمُ يشغلُهُ ... عن وجعِ النَّاس كلِّهم وجعُهْ

---

[١] البيت في حماسة البحتري،

[٢] ديوانه.

[٣] قال الجاحظ في الحيوان: أنشدني محمَّدُ بن زياد الأعرابيّ، وأنشد البيت ومعه بيت آخر.

[٤] نسبها ابن أبي الدنيا في كتاب الورع إلى إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ شَدَّادٍ

وقال آخر[1]:

اللهَ أحمدُ شاكراً فبلاؤه حسنٌ جميلْ
أصبحتُ مسروراً مُعا فىً بين أنعمِهِ أجولْ
خِلْواً من الأحزانِ خفيـ ـفَ الظهرِ يغنيني القليلْ
ونفيتُ باليأسِ المنى عنِّي فطاب لي المقيلْ
والنَّاسُ كلهمُ لمن خفَّتْ مؤونتُهُ خليلْ

باب ذمِّ السُّؤال

وحمد ما جاء عن غير مسألة من النَّوال

روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عمر بن الخطاب عطاءً، فقال عمر: يا رسول الله أعطه من هو أفقر مني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف إليه، ولا سائل له فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك"[2]. قال سالم[3]: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً ولا يردّ شيئاً أعطيه.

---

[1] نسبها ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى محمد بن خازم، ونسبها الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء إلى ابن عبد القدوس. وفي معجم الأدباء لياقوت من غير نسبة.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

قال ثوبان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تسألوا الناس" قال: فما سألت أحداً شيئاً بعدها، فكان سوطه يسقط من يده، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه[1].

ومن حديث مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطائه فردّه، فقال له: "لم رددته "؟ فقال: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا ألا يأخذ من أحد شيئاً؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك". فقال عمر: والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيءٌ من غير مسألة إلا أخذته[2].

قال أبو الدَّرداء: إنّ أحدكم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أنَّ الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً، وإنما يرزق بعضَكم من بعض، فإذا أعطي أحدكم شيئاً فليقبله، فإن كان غنياً فليضعه في أهل الحاجة من إخوانه، وإن كان إليه فقيراً فليستعن به على حاجته ولا يردَّ على الله رزقَه الذي رزقه.

قال عبد الله بن عمر: ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله، فإن كان غنياً عاد به على أخيه، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له.

---

[1] له شاهد عند مسلم.

[2] رواه مالك في الموطأ. وهو حسن بشواهده، ويقويه شاهد في الصحيحين.

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم"[١].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "للسائل خدوشٌ أو كدوحٌ يكدح بها الرّجل وجهه إلاّ أن يسأل ذا سلطان"[٢].

وروي عنه عليه السلام، من حديث هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال "إذا دخل السّائل بغير إذنٍ فلا تُطعموه"[٣].

وقال عليه السلام: "من كان لا بدّ سائلاً فليسألِ الصّالحين، أو ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بداً"[٤].

وقد أشبعنا هذا الباب وأوضحنا معانيه في كتاب " التمهيد " والحمد لله.

رفع الواقديُّ – رحمه الله – إلى المأمون رقعة، فوقع فيها المأمون: إنك رجلٌ فيك خلّتان: سخاءٌ وحياءٌ، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه، وقد أمرنا

---

[١] رواه مسلم وخرَّجه الألباني في صحيح الترغيب وصحيح أبي داود.

[٢] أخرجه أبو داوود والنسائي وأحمد والطبراني في الكبير والطحاوي في شرح معاني الآثار والبيهقي في الكبرى وأبو نعيم في أخبار أصفهان . وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

[٣] أورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير.

[٤] ضعيف، رواه أحمد والنسائي والبيهقي وأبو نعيم في معرفة الصحابة. وضعفه لحال مسلم بن محشي، وجهالة ابن الف راسي.

لك بثلاثة آلاف درهم، فإن كنا أصبنا إرادتك فذاك، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن أنس، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال للزُّبير "يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، يُنزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثَّر كثِّر له، ومن قلَّل قلِّل له"[1]. قال الواقديّ: فقلت له: يا أمير المؤمنين! قد نسيت هذا الحديث، فكان تذكارك إياي له أعجب إليَّ من الجائزة.

قال أبو العتاهية[2]:

إذا ما المرءُ صرتَ إلى سؤالِهْ فما تعطيه أكثرَ من نوالِهْ
ومن عَرَفَ المحامدَ جَدَّ فيها وحنَّ إلى المكارمِ باحتيالِهْ
ولم يستغلِ محمدةً بمالٍ ولو كانت تحيطُ بكلِّ مالِهْ
عيالُ اللهِ أكرمُهمْ عليه أبثُّهُمُ المكارمَ في عيالِهْ

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضي الله عنه[3]:

تعفُّفُ المرءِ عن سؤالِهْ وكسبُهُ الحلَّ باحتيالِهْ
وسعيُه في الصلاحِ عيشٌ لمن يواريهِ من عيالِهْ

---

[1] حكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة.

[2] في ديوانه.

[3] هو المصنف رحمه الله تحدث عن نفسه بصيغة التجهيل فلم يقل: أنا أو لي. وذلك على سبيل التواضع منه.

مروءةٌ بالغٌ بها من يبلغها منتهى كمالِهْ
ومنْ يصنْ وجهَه يزنْه صيانةُ الوجهِ من جمالِهْ
رِضَى الفتى بالقضاءِ عِزٌّ وذلَّةُ الوجهِ في ابتذالِهْ

ولأبي دلف العِجْلي[1]:

بلوتُ مرارةَ الأشياءِ طرّاً فما شيءٌ أَمَرُّ من السُّؤالِ
ولم أر في الخطوبِ أشدَّ هولاً وأصعبَ من معاداةِ الرِّجالِ

وقال أعرابي[2]:

علامَ سؤالُ النَّاسِ والرِّزقُ واسعُ وأنت صحيحٌ لم تخنك الأصابعُ
وفي العيش أوطارٌ وفي الأرضِ مذهبٌ عريضٌ وبابُ الرِّزقِ في الأرضِ واسعُ
فكن طالباً للرِّزقِ من رازقِ الغِنى وخَلِّ سؤالَ النَّاسِ فاللهُ صانعُ

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدِّث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألني الناس فامتنعتُ عليهم، ولكني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألناك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست. فقال للمستملي: أنصتهم لي. فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه

---

١ البيتان في ديوان الأفوه الأودي، ونسبهما إليه أيضاً ابن عساكر في تاريخ دمشق، ونسبهما ابن المعتز في طبقات الشعراء إلى أبي العتاهية في قصيدته التي مطلعها:
نعى نفسي إليّ من الليالي ... تصرفهن حالاً بعد حال

٢ لم أجده.

إليهم، وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما شيءٌ أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك"[1]، والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله، ولو وجّه إليَّ شطر ماله لقبلته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء.

أشخص المنصور سواراً القاضي من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافهه فيه، فمر بواسط، وفيها يحيى بن سعيد الأنصاري يتولى القضاء، فدلَّ عليه، فقال له: ألك حاجة إلى أمير المؤمنين؟ قال: نعم يعفيني من القضاء. فقال سوار للمنصور إذ قدم عليه، وكلمه فيما أراد: يا أمير المؤمنين! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم. قال: هيه. قال: يحيى بن سعيد تعفيه من القضاء. قال: قد أعفيته. فلما انحدر سوار مرّ بواسط، فقال ليحيى بن سعيد: قد أعفاك أمير المؤمنين. فقال: لا جزاك الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الستمائة درهم في كلّ شهر.

كأنه أراد أن يعرِّض ولا يحقّق.

كان الحسن البصريّ رحمه الله يقول: لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمق أو مراءٍ، وقد ذكرنا من رأى قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب "التمهيد" والحمد لله.

---

[1] لا أصل له في كتب السنة.

قال مطرِّف بن الشِّخير: إذا كانت لأحدكم إليَّ حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها، فإني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذلَّ المسألة.

وقد روي عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك، وتمثل[1]:

ما اعتاض باذلُ وجهِهِ بسؤالِهِ عوضاً ولو نال الغنى بسؤالِ

وإذا السُّؤالُ مع النوالِ وزنتَه رَجَحَ السُّؤالُ وخَفَّ كلُّ نوالِ

لبعض الكتّاب إلى عبد الله بن طاهر[2]:

ولقد علمتَ وإن نصبتَ لي المنى أنَّ الخصاصةَ لا تُداوى بالمنى

فلئن وفيتَ لأنهضنَّ بشكرِكم ولئن أبيتَ لأحملنَّ على القضا

فأنجز له عبد الله بن طاهر عِدَتَه.

قال الحسن بن عبيد البغدادي[3]:

صُنِ الوجهَ الّذي إنْ لم تَصُنْهُ بقيتَ وأنتَ في الدُّنيا ذليلُ

وعشْ حراً ولا يحملْكَ ضرٌّ على مرعىً له غبٌّ وبيلُ

---

[1] البيت الأول في ديوان بشار.

[2] القصة ذكرها نقلاً عن الجاحظ ابن الأبار في إعتاب الكتّاب فقال: كى الجاحظ: أن بعض الكتاب سأل عبد الله بن طاهر حاجة، فوعده قضاءها، وطالت أيام مطاله الانجاز، فكتب إليه: أما بعد، فقد كان وعدك تلقاني مكتسياً بشاشة عمرو بن مسعدة، وأرى إنجازه تأخر تأخر من خلع عليه عبوس أحمد بن أبي خالد! وكتب في آخره الأبيات بإضافة بيت ثالث: النذل يلحف في السؤال ولا ترى ... للحرّ إلحافاً ولو أكل الثرى

[3] لم أجده.

فليس الرّأيُ إلاَّ الصَّبرَ حتّى يديلَ اليسرَ من عسرٍ مُديلُ
أليس لكلِّ آفلةٍ طلوعٌ بلى ولكلِّ طالعةٍ أفولُ

وكان أبان بن عثمان[1] رحمه الله يتمثل:

ما لي تلادٌ ولا استطرفتُ من نشبٍ وما أؤمِّلُ غيرَ اللهِ من أحدِ
إني لأكرمُ وجهي أنْ أوجِّهَه عندَ السُّؤالِ لغيرِ الواحدِ الصَّمدِ
عزُّ القناعةِ والإيمانُ يمنعني من التَّعرُّضِ للمنَّانةِ النَّكِدِ
رضيتُ باللهِ في يومي وفي غدِهِ واللهُ أكرمُ مأمولٍ لبعدِ غدِ[2]

قال أبو العتاهية[3]:

أتدري أيَّ ذلٍّ في السُّؤالِ وفي بذلِ الوجوهِ إلى الرِّجالِ
يَعِزُّ على التَّنزُّهِ مَنْ رَعاهُ ويستغني العفيفُ بغيرِ مالِ
إذا كان السُّؤالَ ببذلِ وجهي فلا قُرِّبتُ من ذاكَ النَّوالِ
معاذَ اللهِ من خُلُقٍ دَنِيءٍ يكون الفضلُ فيه عليَّ لا لي

وقال أيضاً[4]:

---

[1] التابعيّ المحدّث الفقيه المؤرّخ أبّان بن عثمان بن عفّان رضي الله عنهما (١٠٥-٢٠هـ) ولي المدينة المنورة سبع سنين عهد عبد الملك بن مروان، وشغل منصب القضاء وتولى إمارة موسم الحج من دمشق عدة مرات.

[2] نسبها الثعالبي في تفسيره إلى أبي إسْحَاقَ الجبنياني.

[3] ديوانه.

[4] ذكره السِّلَفي في كتاب الطيوريات من غير نسبة.

لو رأى النَّاسُ نبياً سائلاً ما رَحِموهُ

ولأبي دلف أو لعبد الله بن طاهر[1]:

أعجلْتَنا فأتاكَ عاجلُ بِرِّنا قِلاًّ ولو أمْهلْتَنا لم يَقْلُلِ

وقال عبد الصمد بن المعذَّل في حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة، قالت له امرأته لو أتيته فسألته، فقال[2]:

تكلِّفني إذلالَ نفسي لعزِّها وهان عليها أنْ أُهانَ لتُكرما

تقولُ: سلِ المعروفَ يحيى بنَ أكثمٍ فقلتُ سليه رَبَّ يحيى بنِ أكثما

وقال مسلم بن الوليد[3]:

أقولُ لمأفونِ البديهةِ طائرٍ مع الحرصِ لم يغنمْ ولم يتموَّلِ

سلِ الناسَ إنِّي سائلُ اللهَ وحدَهُ وصائنُ عِرضي عن فلانٍ وعن فُلِ[4]

---

[1] البيت منسوب في العقد الفريد إلى الحسن بن وهب، من الشعراء، المعاصرين لأبي تمام، وفي عيون الأخبار إلى أبي دلف.

[2] انظر: الكامل للمبرد، وعيون الأخبار لابن قتيبة.

[3] صريع الغواني أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري، أحد الشعراء الفلقين، قال الشعر في صباه ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء مكتفياً بما يناله منهم، ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه. ولما أصبح الحل والعقد بيد ذي الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون في أول خلافته، قربه وأدناه وولاه أعمالاً بجرجان، وأصبهان. واكتسب من عمله الجديد مئات الألوف وأنفقها في لذاته وشهواته، ولما قتل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحداً حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ.

[4] من قصيدته الي مطلعها: سَرَت بِمَلامٍ حينَ هَوَّمَ عُذَّلي مَلامَةَ لا قالٍ وَلا مُتَبَدِّلِ

قال حبيب[1]:

وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقُهُ حقنتَ لي ماءَ وجهي أم حقنتَ دمي

قال محمود الوراق:

يا أيُّها الطَّالبُ مِنْ مثلِهِ رزقاً له جُرْتَ عنِ الحِكمَهْ

لا تطلبِ الرِّزقَ إلى طالبٍ مثلِكَ محتاجٍ إلى الرَّحمَهْ

وارغبْ إلى اللهِ الذي لم يَزَلْ في يدِهِ النِّعمةُ والنِّقْمَهْ

وقال يونس:

إنَّ الوقوفَ على الأبوابِ حِرمانُ والعجزُ أنْ يرجوَ الإنسانَ إنسانُ

حتى تأَمَّلَ مخلوقاً وتقصدَهُ إنْ كان عندكَ بالرحمنِ إيمانُ

عطاؤهُ لكَ إنْ أعطاكَهُ ضِعَةٌ فكيف إنْ كان بعد الْمَطْلِ حِرمانُ

ثقْ بالذي هو يُعطي ذا ويمنعُ ذا في كلِّ يومٍ له في خَلْقِهِ شانُ

قال محمود الوراق[2]:

إنَّ السُؤالَ فَعَدِّ عَنهُ قَليلُهُ ثمنٌ لكلِّ عطيَّةٍ أو مالِ

والحالُ تَقْعُدُ بالكريمِ فما ترى فيه لعزَّتِهِ تغيُّرَ حالِ

وقال أيضاً[3]:

---

[1] أبو تمام حبيب بن أوس. انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي.

[2] ديوانه.

[3] ديوانه.

شاد الملوكُ قصورَهم وتحصَّنوا من كلِّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ
غالَوا بأبوابِ الحديدِ تمنُّعاً قد بالَغُوا في قبحِ وجهِ الحاجبِ
فاطلبْ إلى ملكِ الملوكِ ولا تكن بادي الضَّراعةِ طالباً من طالبِ

وقال النمر بن تولب[1]:

لا تغضبنَّ على امرئٍ في مالِهِ وعلى كرائمِ صلبِ مالِكَ فاغضبِ[2]

وقال عبيد بن الأبرص[3]:

من يسألِ الناسَ يحرموهُ وسائلُ اللهَ لا يخيبُ[4]

وقال النمر بن تولب[5]:

ومتى تصبْكَ خَصاصةٌ فارْجُ الغِنى وإلى الَّذي يَهَبُ الرَّغائبَ فارغَبِ

---

[1] النمر بن تولب: شاعر مخضرم ومن الفرسان المعدودين وكان أحد أجواد العرب المذكورين عُمِّر طويلاً وأدرك الإسلام وأسلم.

[2] البيت في: كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والتمثيل والمحاضرة، والمنتحل، للثعالبي.

[3] عَبيد بن الأبرص شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، قتله المنذر بن ماء السماء حينما وفد عليه في يوم بؤسه. عاصر امرأ القيس وله معه مناظرات ومناقضات.

[4] البيت في: كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، والعروض لابن جني، وشرح المعلقات التسع لأبي عمرو الشيباني، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري.

[5] البيت في: المجالسة وجواهر العلم للدينوري، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي، وعيون الأخبار لابن قتيبة ولباب الآداب للثعالبي.

وقال أبو الأسود الدؤلي[1]:

وإنَّ أحقَّ النَّاسِ إن كنتَ مادحاً لمدحُكَ من أعطاكَ والعِرضُ وافرُ

وقال سِلْم الخاسر[2]:

وفتى خلا من مالِهِ ومن المروءةِ غيرُ خالِ

أعطاك قبلَ سؤالِهِ وكفاكَ مكروهَ السُّؤالِ

قال قيس بن عاصم: إياكم والمسألةَ، فإنها آخر كسب الرجل.

دخل أعرابيٌّ على داود بن مزيد المهلَّبي، فقال: إني لم أصن وجهي عن مسألتك، فصن وجهك عن ردِّي، وضَعْني من كرمك بحيث وضعتك من أملي فيك، قال: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وهي أكثر من قدرك.

قال: والله لئن جاوزتَ قدري فما بلغتَ قدرَك.

قال أبو الفرج الببغاء[3]:

ما الذُّلُّ إلاَّ تحمّلُ المننِ فكن عزيزاً إنْ شئتَ أو فَهُنِ[4]

---

[1] انظر: الكامل في اللغة والأدب للمبرد، والأمثال لابن سلام، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري.

[2] انظر: البيان والتبيين للجاحظ، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي.

[3] عبد الواحد بن نصر النصيبي المخزومي (٣١٣-٣٩٨هـ) ولُقِّب بالبَبَّغاء، وهو أديب وشاعر عاش في العصر العباسي. تأثَّر أبو الفرج الببغاء بالبحتري والمتنبي، وتناول في شعره الوصف والغزل والمديح والرثاء والخمريات.

[4] انظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

وقال آخر[1]:

أمن بيتِ الكلابِ طلبتَ عظماً لقد حدَّثتَ نفسَكَ بالمحالِ

وقال آخر[2]:

لعن اللهُ نائلاً ترتجيهِ من يدي من تريدُ أن تقتضيهِ
أيُّ فضلٍ لصاحبِ الفضلِ من بعـ ـدِ تقاضيه وابتذالِ الوجوهِ
إنما الفضلُ والسَّماحُ لمن يعـ ـطيكَ عفواً وماء وجهِكَ فيهِ
أيُّها الدَّائبُ الحريصُ الْمُعَنَّى لكَ رزقٌ وسوف تستوفيهِ
فسَلِ اللهَ وحدَه ودعِ النَّا سَ وأسخطْهم بما يُرضيهِ
أنْ ترى مُعْطياً لما مَنَعَ اللـ ـهُ ولا مانعاً لما يُعطيهِ

وقال آخر[3]:

إذا ما كنتَ متخذاً خليلاً فخالِلْ مثلَ حسّانِ بنِ سعدِ
فتىً لا يرزأُ الإخوانَ شيئاً ويرزؤه الخليلُ بغيرِ كدِّ

وقال آخر[4]:

---

[1] انظر: ديوان المعاني، وجمهرة الأمثال، للعسكري، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي.

[2] انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وعيون الأخبار لابن قتيبة.

[3] هو الفرزدق هَمَّام بن غالب. انظر الديوان.

[4] هو أبو فرعون الساسي: شاعر عباسي، ينسب إلى قرية الساس أسفل واسط، وفي بعض الكتب الشاشي. من أبناء أواخر المائة الثانية، أعرابي بدوي، فصيح اللسان قدم البصرة. شعره معظمه رجز، وأغراض شعره لا تخرج من ذكر الفقر وتصاريفه. قال المبرد في الكامل: وقدم قوم

ولستُ بسائلِ الأعرابِ شيئاً حمدتُ اللهَ إذ لم يأكلوني

وقال أعرابي[1]:

إنَّ المسائلَ للرِّجالِ مَذَلَّةٌ تفنى منافعُها ويخلدُ عارُها

وقال آخر[2]:

وكائن رأَيْنا مِن فتًى مُتجمِّلٍ يَظلُ ويُمسي ليس يملكُ دِرْهما

يبيتُ يُراعي النَّجمَ من سوءِ حالِهِ ويُصبحُ يُلْقى ضاحكاً مُتَبَسِّما

ولا يَسألُ الْمُثْرِينَ ما في رحالِهِمْ ولو مات هُزْلاً عِفَّةً وتَكَرُّما

ولا يَسألنْ مَن كان يسألُ مرَّةً وإنْ كثرتْ أموالُه وتدرهَما

وقال ربيعة الرَّقِّي[3]:

ولا تسألِ الناسَ ما يملكون ولكنْ سلِ اللهَ واستكفِهِ

ولا تخضعنَّ إلى سِفْلةٍ وإنْ كانتِ الأرضُ في كفِّهِ

من الأعراب البصرة من أهل أبي فرعون، فقيل له: تعرَّض لمعروفهم، فقال: ولست بسائل الأعراب شيئاً ... حمدت الله إذ لم يأكلوني. وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة.

[1] لم أجده.

[2] انظر: كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، وغرر الخصائص الواضحة للوطواط.

[3] ربيعة بن ثابت بن لجأ بن العيزار (ت ١٩٨ هـ) شاعر عربي من العصر العباسي الأول. ربيعة بن ثابت الرقي شاعر مُحدِّث مُكثر، وكان يعتني بأبياته ويُنقِّحها، إلا أنَّه مع جودة أشعاره لم يكن مشهوراً بين العوام، ويمتدح النقاد المعاصرون شعره، ورأى ابن المعتز أنَّه أفضل من أبي نواس في الغزل.

فإنَّ اللَّئيمَ وإنْ خِلتَه كريماً يذودُكَ عن عُرْفِهِ
ويرجعُ محصولُ أخلاقِهِ إلى أصلِهِ وإلى صنفِهِ
وكلُّ مقلٍّ وذي ثروةٍ فإنَّ المنيَّةَ من خلفِهِ[1]

وقال محمود الوراق[2]:

اسألِ العُرفَ إنْ سألتَ كريماً لم يزلْ يعرفُ الغنى واليسارا
فقليلُ الشَّريفِ يُكسِبُ مجداً وكثيرُ الوضيعِ يُكسِبُ عارا
وإذا لم يكن من الذُّلِّ بدٌّ فالْقَ بالذُّلِّ إنْ لقيتَ الكِبارا
ليس إجلالُكَ الكبيرَ بذُلٍّ إنَّما الذُّلُّ أنْ تُجِلَّ الصِّغارا

وقال أيضاً[3]:

يا أيها المتعِبُ بُزْلَ الجِمالِ وطالبُ الحاجاتِ من ذي النَّوالِ
لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البلى فإنَّما الموتُ سؤالُ الرِّجالِ
كلاهما موتٌ ولكنَّ ذا أشدُّ من ذاكَ لذلِّ السُّؤالِ

---

[1] انظر: الحماسة المغربية للجراوي.

[2] ديوانه، وانظر: مطالع البدور ومنازل السرور للغزولي، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

[3] ديوانه، وانظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان.

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق[1]:

بخلتُ وليس البخلُ منِّي سجيَّةً ... ولكنْ رأيتُ الفقرَ شَرَّ سبيلِ
لموتُ الفتى خيرٌ من البخلِ للفتى ... وللبخلُ خيرٌ من سؤالِ بخيلِ
فلا تسألنْ مَنْ كان يسألُ مرَّةً ... فللموتُ خيرٌ من سؤالِ سَؤولِ
لعمرُك ما شيءٌ لوجهِكَ قيمةٌ ... فلا تلقَ إنساناً بوجْهِ ذليلِ

وقال ابن المعتز[2]:

يا رُبَّ جودٍ جرَّ فقرَ امرئٍ ... فقام للنَّاسِ مقامَ الذَّليلِ
فاشددْ عُرى مالِكَ واستبقِهِ ... فالبخلُ خيرٌ من سؤالِ البخيلِ

وقال أعرابي لص[3]:

وإنِّي لأستحيي من اللهِ أنْ أُرى ... أطوفُ بحبلٍ ليس فيه بعيرُ
وأنْ أسألَ المرءَ اللَّئيمَ بعيرَهُ ... وبُعرانُ ربِّي في البلادِ كثيرُ

---

[1] ديوانه، وانظر: الزهرة لابن داود الظاهري، والمحاسن والمساوئ للبيهقي، والمجالسة وجواهر العلم للدينوري.

[2] انظر: أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم الحسني، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي، وزهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني.

[3] هو الأحيمر السعدي من تميم من شعراء العصر العباسي (ت ١٧٠ هـ) شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كان لصاً فاتكاً مارداً من أهل بادية الشام. أتى العراق وقطع الطريق فطلبه أمير البصرة سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس ففر فأهدر دمه وتبرأ منه قومه فهرب إلى الفلوات وصاحب الوحوش. انظر: الوحشيات = الحماسة الصغرى لأبي تمام، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، لابن قتيبة.

وفي التمهيد أبيات في هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها ها هنا.

باب انتظار الفرج

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انتظار الفرج بالصبر عبادة"[1].

ويروى لأبي محجن الثقفي[2]:

عسى فرجٌ يأتي به اللهُ إنَّه ... له كلَّ يومٍ في خليقتِهِ أمرُ

عسى ما ترى ألاَّ يدومَ وأنْ تَرى ... له فَرَجاً ممَّا ألحَّ به الدَّهرُ

إذا اشتدَّ عسرٌ فارْجُ يُسْراً فإنَّه ... قضى الله أنَّ العسرَ يتبعهُ اليُسْرُ

وقال الأضبط بن قريع[3]:

لكلِّ ضيقٍ من الأمورِ سَعَهْ ... والْمُسْيُ والصُّبحُ لا بقاءَ مَعَهْ

---

[1] رواه البيهقي والترمذي والبزار. وحكم عليه ابن الجوزي بأنه لا يصح عن النبي. وقيل إنه موضوع لوجود وضاعين وكذابين ومجاهيل فيه.

[2] أَبُو مِحْجَن مالك بن حبيب الثَّقَفي أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام. كان فارساً حارب المسلمين في غزوة ثقيف، وأسلم بعدها، وروى عدة أحاديث. نظم الشعر في الغزل والفخر والرثاء، وقصته مع سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية مشهورة. انظر: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار للأماسي، والفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، وزبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم لابن المبرد.

[3] الأضبط بن قريع التميمي سيد من سادات بني تميم وشاعر جاهلي قديم، وهو من قال المثل المشهور: (في كل واد بني سعد) وقد قالها في قومه بني سعد من تميم. وقد كان قائداً لقومه في عدة مواقع أهمهما يوم صنعاء الجاهلي ضد سكان صنعاء. انظر: الحماسة البصرية لصدر الدين البصري.

وقال آخر[1]:

كنْ عن همومِكَ مُعْرضاً وكِلِ الأمورَ إلى القَضا
وابشرِ بخيرٍ عاجلٍ تَنْسى به ما قد مَضَى
فلربَّ أمرٍ مُسْخطٍ لكَ في عواقبِهِ الرِّضا

كان يقال: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو.

قال الشاعر[2]:

كن لما لا ترجو من الأمرِ أرجى منكَ يوماً لما له أنت راجِ
إنَّ موسى مضى ليطلبَ ناراً من ضياءٍ رآه والَّليلُ داجِ
فأتى أهلَهُ وقد كلَّم اللـ ـهَ وناجاه وهو خيرُ مُناجِ
وكذا الأمرُ كلَّما ضاق بالنَّا سِ أتى اللهُ فيه ساعةً بالانفراجِ

وقال منصور الفقيه:

وما عسرٌ لمنتظرِ الفَرَجْ

---

[1] منسوبة إلى صفيّ الدين الحلّيّ (٦٧٥ – ٧٥٠ هـ) وقطعاً هي نسبة غير صحيحة لاختلاف زمنه عن زمن المؤلف بثلاثمائة سنة. انظر: شرح سنن ابن ماجه للهرري، والفرج بعد الشدة للتنوخي، ومرشد الزوار إلى قبور الأبرار لزين الدين ابن الموفق.

[2] هو وهب بن ناجية المري. انظر: بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم، وتاريخ دمشق لابن عساكر.

وقال بشار[1]:

خليليَّ إنَّ الصَّبرَ سوف يفيقُ وإنّ يساراً في غدٍ لخليقُ
وما خاب بين اللهِ والنَّاسِ عاملٌ له في التُّقى أو في المحامدِ سوقُ
ولا ضاق فضلُ اللهِ عن متعفِّفٍ ولكنَّ أخلاقَ الرِّجالِ تضيقُ

وقال آخر[2]:

روِّح فؤادكَ بالرِّضا ترجعْ إلى روحٍ رطيبِ
لا تيأسنَّ وإنْ ألحَّ الدَّهرُ من فرجٍ قريبِ

وقال آخر[3]:

لعمرُكَ ما كلُّ التَّعطلِ ضائرٌ ولا كلُّ مسعىً فيه للمرءِ منفعَهْ
إذا كانتِ الأرزاقُ في القربِ والنَّوى عليكَ سواءً فاغتنمْ لذَّةَ الدَّعَهْ
وإن ضقتَ فاصبرْ يُفْرِجِ اللهُ ما ترى ألا رُبَّ ضيقٍ في عواقبِهِ سَعَهْ

---

[1] انظر: الوحشيات = الحماسة الصغرى لأبي تمام، وعيون الأخبار للدينوري، والبيان والتبيين للجاحظ، والأمثال المولدة للخوارزمي.

[2] نسبها التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة إلى عبيد الله بن عبد الله بن طَاهِر، أمير طاهري وأديب وشاعر عربي من أهل القرن الثالث الهجري. انتهت إليه رياسة أسره. ولد في بغداد وولي شرطة فيها. كان مهيبًا رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي.

[3] في ديوان علي بن الجهم، سبقت ترجمته. ونسبها الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار إلى أبي حكيمة الكاتب، وفي المحاسن والأضداد للجاحظ، والفرج بعد الشدة للتنوخي، من غير نسبة.

وقال آخر[1]:

ربَّما خيرٌ لامرئٍ وهو للأمرِ كارِهُ
ربَّ خيرٍ أتاكَ من حيث تأتي المكارِهُ

وقال أحمد بن محمود، وقيل إنها لأحمد بن صالح[2]:

إذا اشتملتْ على اليأسِ القلوبُ وضاق لما به الصَّدرُ الرَّحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنَّتْ وأرستْ في أماكنِها الخطوبُ
ولم تر لانفراجِ الضِّيقِ وجهاً وقد أعيا بحيلتِهِ الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منكَ غوثٌ يمنُّ به اللَّطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ
ومولانا الإلهُ فخيرُ مولى له إحسانُهُ ولنا الذُّنوبُ

وقال الشاعر[3]:

لعمرُكَ ما يدري الفتى كيف يتَّقي نوائبَ هذا الدَّهرِ أم كيف يحذرُ

---

[1] هو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، له مدائح في جماعة من الصحابة، رحل إلى الشام والبصرة، وكف بصره في أواخر أيامه، وكان يتردد إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب فيبالغان في إكرامه. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

[2] ومنسوبة أيضاً إلى علي بن أبي طالب. انظر: كتاب الحماسة البصرية لصدر الدين البصري، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري.

[3] هو محمود الوراق. انظر ديوانه.

يرى الشَّيءَ مِمَّا يتَّقي فيخافُهُ وما لا يَرى مِمَّا يَقِي اللهُ أكبرُ

وقال منصور الفقيه[1]:

إذا الحادثاتُ بلغنَ المدى وكادتْ لهنَّ تذوبُ المهَجْ
وحَلَّ البلاءُ وقلَّ الوفا فعند التَّناهي يكون الفرجْ

وقال آخر[2]:

واصبرْ على الدَّهرِ إن أصبحتَ منغمراً بالضِّيقِ في لججٍ تهوى إلى لججِ
فما تجرَّعَ كأسَ الصَّبرِ معتصمٌ باللهِ إلاَّ أتاه اللهُ بالفرجِ
لا تيأسنَّ إذا ما ضقتَ من فرجٍ يأتي به اللهُ في الرَّوحاتِ والدُّلجِ
وإنْ تضايقَ بابٌ عنكَ مرتتِجٌ فاطلبْ لنفسِكَ باباً غير مرتَتِجِ

قال أبو العتاهية في نُفَيع حاجب موسى الهادي:

ما ترى عندَ نُفَيعٍ مَنْفَعَهْ فسَلِ الرَّحمنَ رزقاً في دَعَهْ
إنْ يكن أمسَكَ عنَّا نيلَهُ فسيغني اللهُ كلاً مِنْ سَعَهْ

وقال أبو العتاهية[3]:

النَّاسُ في الدِّينِ والدُّنيا ذَوُو درجِ والمالُ ما بينَ موقوفٍ ومختلِجِ
من ضاقَ عنك فأرضُ اللهِ واسعةٌ في كلِّ وجهِ مضيقٍ وجهُ مُنفَرِجِ

---

[1] ديوانه.

[2] انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي.

[3] ديوانه.

قد يدركُ الرَّاقدُ الهادي برقدتِهِ وقد يخيبُ أبو الرَّوحاتِ والدُّلَجِ
خيرُ المذاهبِ في الحاجاتِ أنجحُها وأضيقُ الأمرِ أدناهُ مِنَ الفرَجِ

وقال آخر[1]:

سأصبرُ للزَّمانِ وإنْ رماني بأحداثٍ تضيقُ بها الصُّدورُ
وأعلمُ أنَّ بعدَ العسرِ يسراً يدورُ به القضاءُ المستديرُ

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه، وقيل إنها لسهل الوراق، والله أعلم:

سيُفْتَحُ بابٌ إذا سُدَّ بابُ نعم وتهونُ الأمورُ الصِّعابُ
ويتَّسعُ الحالُ من بعدِ ما تضيقُ المذاهبُ فيها الرِّحابُ
مع الهمِّ يُسْرانِ[2] هوّنْ عليكَ فلا الهمُّ يجدي ولا الاكتئابُ
فكم ضقتَ ذرعاً بما هبتَهُ فلم ير من ذاك قدرٌ يهابُ
وكم بَرَدٍ خفتَهُ من سَحابٍ فعوفيتَ وانجابَ عنكَ السّحابُ
ورزقٌ أتاكَ ولم تأتِهِ ولا أَرَّقَ العينَ منه الطِّلابُ
وناءٍ عن الأهلِ ذي غربةٍ أتيحَ له بعدَ يأسٍ إيابُ
وناجٍ من البحرِ من بعدِ ما علاه من الموجِ طامٍ عُبابُ
إذا احتجبَ النَّاسُ عن سائلٍ فما دون سائلِ ربِّي حِجابُ

---

[1] لم أجده.

[2] مأخوذ من قوله تعالى (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) ومنه قالوا: لا يغلب عسرٌ يسرين.

يعود بفضلٍ على من رَجاهُ وراجيهُ في كلِّ حينٍ يُجابُ
فلا تأسَ يوماً على فائتٍ وعندَكَ منه رضاً واحتسابُ
فلا بدَّ من كونِ ما خُطَّ في كتابِكِ تُحْبى به أو تُصابُ
فمَنْ حائلٌ دونَ ما في الكتابِ ومَنْ مرسلٌ ما أَباه الكتابُ؟

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب.

وقال محمد بن يسير[1]:

إنّ الأمورَ إذا انسدّتْ مسالكُها فالصَّبرُ يفتقُ منها كلَّ ما ارتتجا
لا تيأسنَّ وإنْ طالتْ مطالبةٌ إذا استعنتَ بصبرٍ أن تَرى فَرَجا
أَخْلِقْ بذي الصَّبرِ أنْ يحظى بحاجتِهِ ومُدْمنِ القرعِ للأبوابِ أنْ يَلِجا

وقال محمد بن حازم الباهلي[2]:

هوِّنْ عليكَ فكلُّ الأمرِ ينقطعُ وخلِّ عنكَ عنانَ الهمِّ يندفعُ
فكلُّ همٍّ له من بعدِهِ فرجٌ وكلُّ أمرٍ إذا ما ضاق يتّسِعُ
إنَّ البلاءَ وإنْ طال الزَّمانُ به فالموتُ يقطعُهُ أو سوف ينقطِعُ

وقال آخر[3]:

---

[1] محمد بن يسير الخارجي. انظر: شرح حماسة أبي تمام للفارسي.

[2] نسبها ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى أحمد بن عاصم الأنطاكي،

[3] بغير نسبة في: كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري، وعيون الأخبار لابن قتيبة. ونسبه ابن عساكر في تاريخ دمشق إلى عمر بن عبد العزيز بن عبيد السبائي الطرابلسي: من أهل طرابلس

رأيتُ الأمرَ يبعدُ بعدَ قربٍ ويدنو الأمرُ بالقَدَرِ المسُوقِ
فلا تفرحْ بأمرٍ إنْ تَدانى ولا تَيأسْ مِنَ الأمرِ السَّحيقِ

وقال ابن المبارك[1]:

ما أقربَ الأشياءَ حينَ يَسوقُها قَدَرٌ وأَبْعَدَها إذا لم تُقْدَرِ

وقال آخر[2]:

إن يكن يومي تولّى سعدُهُ وتداعى لي بنحْسٍ ونَكَدْ
فلعلَّ اللهَ يقضي فرجاً في غدٍ من عندِه أو بعدَ غَدْ

وقال آخر[3]:

أحسن الظَّنَّ بمن قد عوّدكْ حسناً أمسِ وسوَّى أَوَدَكْ
إنّ رباً كان يكفيكَ الَّذي كان بالأمسِ سيكفيك غَدَكْ

قال العبسي[4]: خرجت حاجاً فضاق صدري، فجعلت أقول:

المغرب، فقيه على مذهب مالك كان يعرف شيئاً من الأدب ويكتب بخط حسن قدم دمشق من مكة وأقام بها مدة ثم توجه إلى العراق طالبا للعلم فتوفي ببغداد في سنة خمسمائة وعشرة.

[1] نسبه البحتري في حماسته إلى عبد الله بن يزيد الْهِلَالِي، كان والي أرمينية في نهاية القرن الأول الهجري.

[2] انظر: كتاب مجمع الأمثال للميداني،

[3] انظر: كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، والفرج بعد الشدة للتنوخي، وأحسن ما سمعت لأبي منصور الثعالبي.

[4] لعله: الشعبي، هكذا عند شمس الدين ابن مفلح في الآداب الشرعية والمنح المرعية.

أرى الموتَ لمن أمسى على الذُّلِّ له أَصْلَحْ

فإذا هاتف من ورائي يقول:

يا أيُّها المرءُ الَّذي يرى الهمَّ به بَرَّحْ
إذا ضاق بكَ الصَّدرُ ففكِّرْ في ألم نشرَحْ

ومما ينسب إلى علي بن أبي طالب[1]:

رأيتُ العسرَ يتبعه يسارُ وقولُ اللهِ أصدقُ كلِّ قيلِ
فلا تجزعْ وقد أعسرْتَ يوماً فقد أيسرْتَ في دهرٍ طويلِ
ولا تظنُنْ بربِّكَ ظنَّ سوءٍ فإنّ اللهَ يأتي بالجميلِ

عن أبي عمرو بن العلاء قال: استعمل الحَجّاج أبي على بعض أعماله فنقم عليه فتوارى أبي عنه في بادية قومه وأنا معه، فبينا أنا في سحر من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول[2]:

صَبِّرِ النَّفسَ عندَ كلِّ ملمٍّ إنَّ في الصَّبرِ حيلةَ المحتالِ
لا تَضِقْ في الأمور ذرعاً فقدْ يُكشَفُ غمَّاؤها بغيرِ احتيالِ
ربَّما تجزعُ النُّفوسُ من الأمـ ـرِ له فرجةٌ كحَلِّ العِقالِ

قال: فقلت: ما ذاك؟ قال: مات الحجاج. فوالله ما أدري بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقوله مات الحجاج أم بقوله: فرجة.

---

[1] منسوبة لمحمود الوراق في: أمالي ابن مردويه، وهي في ديوانه.

[2] نسبها أسامة بن منقذ في لباب الآداب إلى عبيد بن الأبرص.

قال العطوي[1]:

مستشعرُ الصّبرِ مقرونٌ به الفرجُ يبلى ويصبرُ والأشياءُ تنتهجُ
حتَّى إذا بلغتْ مقدورَ غايتِها جاءتكَ تضحكُ عن ظلمائها السُّرجُ
فاصبرْ ودمْ واقرعِ الباب الَّذي طلعتْ منه المطامعُ فالمغرى به يلجُ
يقدِّرُ اللهُ فارجُ اللهَ وارضَ به ففي إرادتِهِ الغمَّاءُ تنفرجُ[2]

وقال هلال بن العلاء الرَّقّي[3]:

هوِّن عليكَ مصائر الدُّ نيا تكنْ سُبُلاً فِجاجا
لا تضجرنَّ بضيقةٍ يوماً فإنَّ لها انفراجا

وقال آخر[4]:

كُلوا اليومَ من رزقِ الإله وأبشروا فإنّ على الرحمنِ رزقَكمُ غدا

وقال منصور الفقيه:

---

[1] العطوي: محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية الكناني، من شعراء الدولة العباسية مولده ومنشؤه بالبصرة، كان معتزلياً، يعد من المتكلمين الحذاق، يذهب مذهب الحسين بن محمد النجار. اشتهر أيام المتوكل، واتصل بابن داود وحظي عنده وكان منهوماً بالنبيذ، له في الفتوح أشعار كثيرة.

[2] بغير نسبة في: كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي، وأنس المسجون وراحة المحزون لصفي الدين الحلبي، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر.

[3] هلال بْن العلاء بْن هلال أبو عُمَر بْن أبي محمد الباهليّ، الرَّقّيّ الأديب، (ت ٢٧١ هـ) شيخ الرَّقّةِ وعالمها.

[4] هو جميل بثينة.

يا من يخافُ أن يكو نَ ما يخافُ سرمدا

أما سمعتَ قولَهم إنّ مع اليومِ غدا

وقال أبو العتاهية:

هي الأيَّامُ والغِيَرُ وأمرُ اللهِ مُنْتَظَرُ

أتيأسُ أنْ تَرَى فَرَجاً فأينَ اللهُ والقَدَرُ

المحتويات

تمهيد ٣
مقدمة المؤلف: ٨
باب أدب المجالسة وحق الجليس الصالح ١٣
باب حمد اللّسان وفضل البيان ٣٦
باب ذمّ العِيّ وحشو الكلام ٤٤
باب في اجتناب اللّحن وتعلّم الإعراب ٤٨
وذمّ الغريب في الخطاب ٤٨
باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة ٥٦
باب مَنْ خَطَب فأُرْتِجَ عليه ٥٨
باب حمد الصّمت وذمّ المنطق ٦٣
بابٌ من مزدوِج الكلام ٧٩
باب من الأجوبة المُسكِتة ٨٣
باب الأدب ١٠١
باب ترويح القلوب وتنبيهها ١٠٨
باب قولهم في وصف العيش ١١٠
وما تتمنَّاه النَّفس ١١٠
باب اختلاف الهمم في أنواع المال ١٢٤
باب التجارة ١٢٩
بابٌ الرِّزق ١٣٣
باب الحرص والأمل ١٥١
باب الطَّمع واليأس ١٥٩
باب ذمّ السُّؤال ١٦٣
وحمد ما جاء عن غير مسألة من النَّوال ١٦٣
باب انتظار الفرج ١٧٩

المراجع

في مواضعها من الهوامش

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_111@hotmail.com

الكويت 98866903

مصر 01099694140